القافلة
رمضان ١٤٠٤هـ - مايو/يونيو ١٩٨٤م
شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة
THE CARAVAN

JUNE 1984

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ماينشر في « القافلة » يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولايعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- تجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لاتقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العدد التاسع/ المجلد الثاني والثلاثون
رمضان ١٤٠٤هـ - مايو/يونيو ١٩٨٤م

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام : فيصل محمد البسام
المدير المسؤول : إسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير : عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد : عوني أبو كشك

٨ جائزة الدولة التقديرية في الأدب

٣٤ نباتات حوض البحر المتوسط

الغلاف :

صمم وطبع في شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL MUTAWA PRESS CO. DAMMAM

صيام رمضان بين ثبوت الرؤية.. وحساب الفلكيين

بقلم: د. احمد جمال العمري / جدة

فرض الحق سبحانه صوم رمضان — في المدينة المنورة — في العاشر من شعبان من السنة الثانية للهجرة. فرضه جلّ شأنه على عباده المسلمين المؤمنين لحكم عظيمة. ومعان جليلة. فرضه تربية للنفس على تقوى الله. ومراقبته. وخشيته في السر والعلن. تحقيقا لارادته. وتنفيذا لأوامره: «**ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر. وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له. وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون. شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه..**»(١)

فالصائم يدع طعامه وشرابه مع أن نفسه تشتهيه. ويتحرر من سائر غرائزه وشهواته. مع أن أحاسيسه تنازعه اليها. ليس ذلك تعففا وتقشفا فحسب. وانما ارضاء لوجه الله الكريم. وتنفيذا لفرضه. وطمعا في ثوابه الجزيل. الذي وعد به عباده الطائعين الصابرين.

— يقول رب العزة في حديثه القدسي — الذي رواه عنه النبي المصطفى، صلى الله عليه وسلم: «**كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي. وأنا أجزي به**».

— ويقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم: «**ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة. يقال أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم. فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**» (رواه الشيخان).

ان الشعور الصادق بالمراقبة الالهية. سوف يترك في نفس الصائم أثرا عميقا يلازمه بعد انتهائه من أداء هذه الفريضة. فاذا ما اعتمل في نفسه سوء. أو حدثته نفسه بشر. أو تفاعلت في جسده شهوة تذكر أن عين الله لا تغفل. وأنه لن يفلت من حساب الله وعقابه. عاند نفسه ولم يطاوعها. وعاد الى الله تائبا نادما..

«**ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**».(٢)

إن الصيام مدرسة الايمان. فيها يتربى المؤمن على طاعة الله. وتقوى الله. كيف لا — والحق سبحانه يقول في حديثه القدسي «**الصوم جُنَّة**» أي درع حصينة يحتمي وراءها المسلم. فتتقصف وتتحطم عليها سهام النفس الأمارة بالسوء ووساوس الشيطان الرجيم. ومن هذه الومضة ندرك السرّ في ندب الرسول المصطفى، صلى الله عليه وسلم، المسلمين الى الصوم لمجابهة مكائد الشيطان. يقول صلوات الله وسلامه عليه: «**ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع**» (رواه الترمذي).

ويحث — صلى الله عليه وسلم — الشباب المسلم على الصيام. ليكون الصوم عونا لهم على السمو الروحي وطهارة حواسهم وسلوكهم — حيث يقول: **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج. فانه أغض للبصر واحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء**» (رواه الشيخان). فالصيام نعم المربي للارادة. وخير مقو للعزيمة. واعظم كابح لجماح النفس الأمارة بالسوء. انه سلاح المؤمن بعد ايمانه بالله — في الثبات على دينه. والصوم يعوّد المرء المؤمن خُلق الصبر. لذا فهو أقوى الأسلحة التي يتسلح بها المسلم على طاعة الله. امتثالا لأوامره. واجتنابا لنواهيه. يقول النبي المصطفى — صلى الله عليه وسلم — في فضل شهر الصوم: «**وهو شهر الصبر. والصبر ثوابه الجنة**» (رواه ابن خزيمة في صحيحه).

كما يعوّد الصوم المسلم خلُق البذل والسخاء. والاحساس بمشاعر الفقراء وحرمانهم. فتهفو نفسه الى مشاركتهم وجدانيا. يقول الرسول، صلوات الله وسلامه عليه:

«**وهو شهر يزاد في رزق المؤمن فيه. من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه. وعتق رقبته**

---

(١) البقرة /١٨٣ — ١٨٤

(٢) الأعراف /٢٠١

من النار. وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء. قالوا: يا رسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم. فقال صلى الله عليه وسلم: **يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائما على تمرة أو شربة ماء. أو مذقة لبن»** (رواه البيهقي).

كما ان الصيام يحول بين الصائم وبين المرذول من الأقوال. والقبيح من الأفعال. والمذموم من الخصال. فهو يبعد الناس عن الغيبة والنميمة. وقول الزور. والغضب والسباب. وما الى ذلك. لأنه يدرك أن صيامه لا يؤتي ثمرته المرجوة مع شيء من هذا. لقول النبي صلى الله عليه وسلم:

«من لم يدع قول الزور والعمل به. فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البيهقي). ويقول رب العزة — في حديثه القدسي — **«واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب. وان سابه أحد أو قاتله. فليقل: اني امرؤ صائم»** (رواه البخاري).

وأخيرا فان الصوم مظهر من مظاهر تكريم الله تعالى للمسلم العابد. فهو طريق الى الجد. وعلو الهمة. واطراح الكسل والضعف. وهو موسم للخير والثواب. الدعوة فيه مستجابة. والأجر على فعل الخير مضاعف. والذنوب فيه مغفورة باذن الله. يقول رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه: **«أتاكم رمضان. شهر بركة. يغشاكم الله فيه. فينزل الرحمة. ويحط الخطايا. ويستجيب فيه الدعاء. ينظر الله الى تنافسكم فيه. ويباهي بكم ملائكته. فأروا الله من أنفسكم خيرا. فان الشقي من حرم فيه رحمة الله تعالى»** (رواه الطبراني).

يثبت هذا الشهر الكريم بأحد أمرين:

◦ رؤية هلاله اذا كانت السماء خالية مما يمنع الرؤية من غيم أو دخان أو غبار أو نحوها.

◦ اكمال شعبان ثلاثين يوما — اذا لم تكن السماء خالية. لقوله صلى الله عليه وسلم: **«صوموا لرؤيته. وافطروا لرؤيته. فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين»** (رواه البخاري عن أبي هريرة)

ومعنى حديثه. صلى الله عليه وسلم. أن السماء اذا كانت صحوا. كان أمر الصوم متعلقا برؤية الهلال. فلا يجوز الصيام الا اذا رؤي الهلال. أما اذا كان بالسماء غيم. فان المرجع في ذلك يكون الى شعبان. بمعنى أن نكمله ثلاثين يوما. بحيث لو كان ناقصا في حسابنا نلغي ذلك النقص. وان كان كاملا وجب الصوم. وهذه القاعدة الشرعية — وضعها الشارع الذى أمر بالصيام. فهو صاحب الحق المطلق في نصب العلامات التي يريدها. وهو قد قال لنا: «ان كانت السماء صحوا. ويمكن رؤية الهلال فارصدوه عند رؤيته — والا فلا. أما اذا كانت غيما فلترجع الى حساب شهر شعبان. ونكمله ثلاثين يوما. وبهذا أخذ ثلاثة من الأئمة. وخالف الحنابلة حال الغيم عملا بلفظ آخر ورد في حديث آخر وهو: «صوموا لرؤيته. وافطروا لرؤيته. فان غم عليكم فاقدروا له «فقالوا: ان معنى (أقدروا له) أحتاطوا له بالصوم. وقد احتج الحنابلة لذلك بعمل ابن عمر— راوي الحديث — فقد ثبت أنه كان اذا مضى من شعبان (٢٩) تسع وعشرون. يبعث من ينظر. فان رأى فذاك. وان لم ير. ولم يحل دون منظره سحاب وقتر. أصبح مفطرا. وان حال أصبح صائما. ولا يقال لهذا اليوم (يوم الشك) في هذه الحالة. بل الشك عندهم لا يوجد الا اذا كان اليوم صحوا. وتقاعد الناس عند رؤية الهلال.

فمذهب الحنابلة يقول: اذا غُم الهلال في غروب اليوم التاسع والعشرين من شعبان. فلا يجب اكمال شعبان ثلاثين يوما. ووجب عليه تبييت النية. وصوم اليوم التالي لتلك الليلة. سواء كان في الواقع من شعبان. أو من رمضان. وينويه عن رمضان. فان ظهر في أثنائه أنه من شعبان لم يجب اتمامه.

كيفية اثبات الهلال

لاثبات رؤية الهلال كيفيات فصلها الأئمة:

الحنفية: قالوا: اذا كانت السماء خالية من موانع الرؤية. فلابد من رؤية جماعة كثيرين يقع بخبرهم العلم. وتقدير الكثرة منوط براي الامام أو نائبه — فلا يلزم فيها عدد معين على الراجح. ويشترط في الشهود في هذه الحالة أن يذكروا في شهاداتهم لفظ (أشهد). وان لم تكن السماء خالية من الموانع المذكورة. وأخبر واحد أنه رآه. اكتفي بشهادته ان كان سلما عدلاً عاقلا بالغا. ولا يشترط أن يقول (أشهد) كما لا يشترط الحكم. ولا مجلس القضاء. ومتى كان بالسماء علة. فلايلزم أن يراه جماعة لتعسر الرؤية حينئذ. ولا فرق في الشاهد بين أن يكون ذكرا أو أنثى. حرا أو عبدا. واذا رآه واحد ممن تصح شهادته. وأخبر بذلك واحدا آخر تصح شهادته فذهب الثاني الى القاضي. وشهد على شهادة الأول. فللقاضي أن يأخذ بشهادته.

ويجب على من رأى الهلال ممن تصح شهادته أن يشهد بذلك في ليلته عند القاضي اذا كان في العصر — أي في العاصمة — فان كان في قرية فعليه أن يشهد بين الناس بذلك في المسجد. ولو كان الذي رآه امرأة.

ويجب على من رأى الهلال . وعلى من صدّقه الصيام. ولو ردّ القاضي شهادته. الا أنهم لو أفطروا في حالة رد الشهادة فعليهم القضاء دون الكفارة.

المالكية: قالوا: يثبت هلال رمضان بالرؤية. وهي على ثلاثة أقسام:

— أن يراه عدلان. والعدل هو الذكر الحر البالغ العاقل الخالي من ارتكاب كبيرة. أو اصرار على صغيرة. أو فعل مايخل بالمروءة.

— أن يراه جماعة كثيرة. يفيد خبرهم العلم. ويؤمن تواطؤهم على الكذب. ولا يجب أن يكونوا كلهم ذكورا أحرارا عدولا.

— أن يراه واحد. ولكن لا تثبت الرؤية بالواحد الا في حق نفسه. أو في حق من أخبره. اذا كان من أخبره لا يعتني بأمر الهلال. أما من له اعتناء بأمره فلا يثبت في حقه الشهر برؤية الواحد. وان وجب عليه الصوم برؤية نفسه

ولا يشترط في الواحد الذكورة. ولا الحرية. فمتى كان غير مشهور بالكذب وجب على من لا اعتناء لهم بأمر الهلال أن يصوموا بمجرد اخبارهم. ولو كانت أمرأة أو عبدا. متى وثقت النفس بخبره واطمأنت له. ومتى رأى الهلال عدلان. أو جماعة مستفيضة وجب على كل من سمع منهما أن يصوم. كما يجب على كل من نقلت اليه رؤية واحد عن القسمين الأولين.

أما اذا كان النقل عن العدلين. فلابد أن يكون الناقل عن كل منهما عدلين. ولا يلزم تعدد العدلين في النقل. فلو نقل عدلان الرؤية

عن واحد، ثم نقلاها عن الآخر أيضا، وجب الصوم على كل من نقلت اليه، أو جماعة مستفيضة، ولا يكفي نقل الواحد.

وأما اذا كان النقل عن الجماعة المستفيضة، فيكفي فيه العدل الواحد، كما يكفي اذا كان النقل ثبوت الشهر عند الحاكم، أو عن حكمه بثبوته.

واذا رأى الهلال عدل واحد وجب عليه أن يرفع الأمر للحاكم ليفتح باب الشهادة، فربما ينضم اليه واحد آخر اذا كان عدلا، أو جماعة مستفيضة ان كان غير عدل. ولا يشترط في اخبار العدلين أو غيرهما أن يكون بلفظ (أشهد).

الشافعية: قالوا: يثبت رمضان برؤية عدل، ولو مستورا، سواء كانت السماء صحوا أو بها ما يجعل الرؤية متعسرة.

ويشترط في الشاهد أن يكون مسلما عاقلا بالغا حرّا ذكرا عدلا، ولو بحسب ظاهره، وأن يأتي في شهادته بلفظ (أشهد) كأن يقول أمام القاضي: «أشهد أنني رأيت الهلال». ولا يلزم أن يقول: وان غدا من رمضان، ولا يجب الصوم على عموم الناس الا اذا سمعها القاضي وحكم بصحتها، أو قال: «ثبت الشهر عندي» ويجب على من رأى الهلال بعينه أن يصوم رمضان، ولو لم يشهد عند القاضي، وأشهد ولم تسمع شهادته، وكذا يجب على كل من صدّقه أن يصوم متى بلغته شهادته ووثق بها، ولو كان الرائي صبيا أو امرأة أو عبدا أو كافرا.

الحنابلة: قالوا: لابد في رؤية الهلال من اخبار مكلّف، عدل، ظاهرا، أو باطنا، فلا تثبت برؤية صبي مميز، ولا بمستور الحال. ولا فرق في العدل بين كونه ذكرا أو أنثى، حرا أو عبدا، ولا يشترط أن يكون الاخبار بلفظ (أشهد). فيجب الصوم على من سمع عدلا يخبر برؤية هلال رمضان، ولو رد الحاكم خبره، لعدم علمه بحاله، ولا يجب على من رأى الهلال أن يذهب الى القاضي، ولا الى المسجد، كما لا يجب عليه اخبار الناس.

والسؤال الآن.. ما الحكم الشرعي اذا ثبت الهلال بقطر من أقطار الاسلام؟

اذا ثبتت رؤية الهلال بقطر من الأقطار وجب الصوم على سائر الأقطار، لا فرق بين القريب من جهة الثبوت، والبعيد — اذا بلغهم من طريق موجب للصوم. ولا عبرة باختلاف مطلع الهلال مطلقا عند ثلاثة من الأئمة. وخالف الشافعية فقالوا: اذا ثبتت رؤية الهلال في جهة وجب على أهل الجهة القريبة منها من كل ناحية أن يصوموا بناء على هذا الثبوت. والقرب يحصل باتحاد المطلع، بأن يكون بينهما أقل من أربعة وعشرين فرسخا، أما أهل الجهة البعيدة، فلا يجب عليهم الصوم بهذه الرؤية لاختلاف المطلع.

وهنا سؤال يطرح نفسه.. هل يمكن الأخذ بأقوال المنجمين أو علماء الأرصاد أو الحساب الفلكي؟

قال الفقهاء: لا عبرة بقول المنجمين أو غيرهم.. ولا يجب الصوم طبقا لحسابهم، ولا على من وثق بقولهم. لأن الشارع علّق الصوم على أمارة ثابتة لا تتغير أبدا، وهي رؤية الهلال، واكمال العدة ثلاثين يوما. أما أقوال المنجمين فهو وان كان مبنيا على قواعد دقيقة، فانا نراه غير منضبط، بدليل اختلاف آرائهم في أغلب الأحيان. وهذا هو رأي ثلاثة من الأئمة: المالكية والحنابلة والحنفية. وخالف الشافعية فقالوا: يعتبر قول المنجم في حق نفسه وحق من صدّقه، ولا يجب الصوم على عموم الناس بقوله — على الأرجح.

ما حكم التماس الهلال؟

يقول العلماء: يفترض على المسلمين فرض كفاية أن يلتمسوا الهلال في غروب اليوم التاسع والعشرين من شعبان ورمضان، حتى يتبينوا أمر صومهم وافطارهم، ولم يخالف في هذا سوى الحنابلة، فقالوا: ان التماس الهلال مندوب لا واجب، ولا يخفى أن رأي غيرهم هو المعقول، لأن صيام رمضان من أركان الدين، وقد علق على رؤية الهلال، فكيف يكون طلب الهلال مندوبا فقط؟

واذا رؤي الهلال نهارا قبل الزوال، أو بعده وجب صوم اليوم الذي يليه اذا كانت الرؤية في آخر شعبان، ووجب افطار اليوم الذي يليه ان كان آخر رمضان. ولا يجب عند رؤية الهلال الامساك في الصورة الأولى — ولا الافطار في الثانية، وهذا الحكم عند المالكية والحنفية.

أما الشافعية والحنابلة فقد خالفوا وقالوا: ان رؤية الهلال نهارا لا عبرة بها، وانما المعتبر رؤيته بعد الغروب.

بقي أن نجيب عن هذا السؤال: هل يشترط حكم الحاكم في الصوم؟ قال الفقهاء: لا يشترط في ثبوت الهلال ووجوب الصوم بمقتضاه على الناس حكم الحاكم — ولكن لو حكم بثبوت الهلال بناء على أي طريق في مذهبه، وجب الصوم على عموم المسلمين، ولو خالف مذهب البعض منهم، لأن حكم الحاكم يرفع الخلاف. وهذا متفق عليه — الا عند الشافعية، الذين قالوا: يشترط في تحقيق الهلال — ووجوب الصوم بمقتضاه على الناس — أن يحكم به الحاكم، فمتى حكم به وجب الصوم على الناس، ولو وقع حكمه على شهادة واحدٍ عدل.

ومن المهم أن نذكر ما قاله المصطفى «صلى الله عليه وسلم» في مطلع الشهر الكريم:

«**ياأيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه**» (رواه البيهقي).

ويقول صلى الله عليه وسلم: «**اذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين، وغلقت أبواب النار، فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر**» (رواه النسائي).

ويقول صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والامام العادل، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**» (رواه أحمد والترمذي).

فحسب الصائم أن يدرك هذه الخلال، وأن يتلمس هذه المعاني الجليلة التي تربيه في مدرسة الصوم العظيمة، ليتخرج منها وقد ترسخت عقيدته، وزاد من الله خوفه، وصقلت أخلاقه، وغفرت ذنوبه، وفاز بجنة المولى ورضوانه، فيكون قد جمع بين سعادة الدارين، وخير الدنيا والآخرة □

دور الجامعات في الصناعة دراسة.. وتأسيسا.. وتطورا

عرض : الأستاذ حسن فضل المولى / المدينة المنورة

للخوض في هذا الموضوع لا بد لنا من التطرق الى البحث الذي قدمه معالي الدكتور بكر عبدالله بن بكر، مدير جامعة البترول والمعادن، بالظهران أمام الندوة الفكرية الأولى لمديري الجامعات الخليجية العربية التي عقدت في البحرين. ولعل من بين البواعث التي أثارت اهتمامي بهذا الموضوع، هو ان الاطار الذي جاء فيه البحث انما يجسد بداية للانطلاق في الطريق الصحيح نحو الارتفاع الى مستوى التحديات التي تحيط بالعالم الاسلامي وتأمين الوسائل التي تساعد على مواجهة هذه التحديات.. كما أن هذا البحث يمثل مزاوجة بين الممارسة العلمية، والاستيعاب العلمي، لأحد القائمين على مؤسسة ينتظر لها أن تسهم مع نظيراتها في تحقيق الطفرة العلمية التي يرتقبها العالم الاسلامي.

اذا ما عرّفنا التعليم العالي — وهو الهدف الأساسي للجامعة — بأنه عملية توفير المناخ الملائم لتطوير واستنباط العلوم، ونقلها من شخص أكثر علما بها الى آخرين أقل معرفة لها، فاننا نستطيع أن نقول ان أولى المدارس النظامية للتعليم العالي في تاريخنا الاسلامي بدأت وازدهرت في الحرمين الشريفين، ثم انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها. وفي هذه المرحلة الطويلة تطورت الفكرة واتسعت، لتتعدى النقل والتفسير والاثبات والاستنباط للعلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية والتاريخ والاجتماع، الى اكتشاف وتطوير علوم أخرى يمكن تسميتها بالعلوم التقنية، مثل علم الفلك، والفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والطب، ثم ابتكرت وسائل جديدة لدراسة هذه العلوم، وأهمها وسيلة التجربة.

ان الجامعات الحديثة بصورتها التي نعرفها اليوم ما هي الا امتداد للجامعة الاسلامية، طوّرت وتكاملت تفاصيلها في

أوربا وأمريكا لتلائم المجتمعات الحديثة والمشكلات المعاصرة. ومعظم الفروق والاختلافات عن الجامعة الاسلامية ما هي الا فروق تنظيمية وادارية، أما الجوهر فكما هو.

أهداف الجامعة

بهذا المدخل الذي يؤصل للجامعات الاسلامية، ابتدر الدكتور بكر بحثه ليمهد بذلك للانتقال الى أهداف الجامعة.. ولا بد لنا في هذا الصدد من الاشارة الى رؤية «لولكر» حول أهداف الجامعة التي حصرها فيما يلي:

* التعليم واعداد المتخصصين في المهن العالية.
* خلق المناخ الملائم للبحث العلمي والقيام به.
* تقديم الخدمات العامة للمجتمع.

وهناك شبه اتفاق بين العلماء على وظيفة الجامعة في التعليم والبحث العلمي. وهذا ما كانت تقوم به الجامعات الاسلامية، قبل انشاء أول جامعة بمئات السنين،أما أهداف الجامعة الأخرى فهي حديثة ولم تترسخ بعد. وان كان هناك شبه اجماع على أن أهداف الجامعة في العصر الحديث يجب ألا تقتصر على التعليم والبحث العلمي، بل تتعدى ذلك الى أهداف أخرى يحددها المجتمع الذي تخدمه. وتحددها امكاناتها كمؤسسة ضخمة تضم بين جنباتها ألوفا من العلماء والمتخصصين، وملايين الكتب، وعددا من المختبرات.

وهذا يقودنا الى أن نتساءل عن ماهية هذه الأهداف الجديدة. وكعادة بني البشر، فانهم يلجأون الى التصميم الفضفاض، والعبارة الغامضة عندما يعجزون عن الاتفاق على شيء معين، مما جعل الأكاديميين ينتهون الى عبارة «خدمة المجتمع» لتعبر عن الأهداف الأخرى للجامعة التي عجزوا عن تحديدها بصورة دقيقة.

وفي اطار هدف خدمة المجتمع، الذي يسمح للجامعة بأن تقوم بما تستطيع القيام به، طرأت على الجامعات الحديثة ولا سيا في الدول العربية، أشياء كثيرة. ينتظر من الجامعات أن تنهض بها. لكن هناك دورا يتعاظم، وهو دور الجامعة في الصناعة دراسة وتأسيسا وتطويرا.

ماذا نعني بالصناعة والتصنيع

بعد الحديث عن أصل الجامعة وأهدافها يعرج بنا الباحث الى مفهوم الصناعة والتصنيع. وليس من اليسير العثور على تعريف شامل محدد لمفهوم الصناعة، حتى في المراجع التقنية المعتمدة. ومن بين التعاريف المتداولة لمفهوم الصناعة «ان الصناعة هي العمل لزيادة قيمة المواد الخام» وانها «عملية استخدام رأس المال والعمال لانتاج سلعة». وكما هو واضح فان التعريف الأول يشمل كل شيء في الحياة تقريبا. فكل عمل ولو كان غير «صناعي» مثل التعليم والزراعة يضيف قيمة. أما التعريف الثاني فيستثني معظم صناعات الخدمات لأن هذه الصناعات لا تنتج سلعا..

وللخروج من هذه المتاهة نجد «الدكتور بكر» نفسه مضطرا لصياغة تعريف جديد عله بذلك يفي بغرض التحليل والتوضيح خلال هذه الورقة. وينص التعريف على أن: «الصناعة هي العملية التي يتم بواسطتها تطويع خواص عنصر أو أكثر من عناصر الطبيعة بطريقة منظمة تستخدم رأس المال واليد العاملة والوقت، وتهدف الى انتاج سلعة أو خدمة مرغوبة بتكاليف مقبولة».

وعند هذا التعريف نقف أمام مجال كبير نتدرج فيه من العملية البدائية التي استطاع انسان محدود المعرفة اكتشافها والقيام بها، الى العملية المعقدة التي تحتاج للقيام بها الى انتاج صناعات أخرى كمواد أولية، والى أعداد كبيرة من المهندسين والعلماء والأيدي العاملة.

ماهو دور الجامعات في الصناعة؟

سؤال يستتبع عدة أسئلة تدور حول القضية ذاتها. وفي سبيل الوصول الى اجابات مقبولة، هناك عدة طرق. منها طريق التعميم الذي يتجنب التحديد، وطريق آخر يحدد الأدوار بطريقة علمية تقترب أكثر من التطبيق. وهو أصعب.

وباستخدام منهج التعميم يمكن أن تلخص دور الجامعات في الصناعة على النحو التالي:

* القيام بالدراسات الأساسية لتحديد الجدوى الاقتصادية لصناعة ما، وقد يتعدى هذا الدور الى الدراسات الاستراتيجية، وتدخل في اعتبارات اتخاذ القرار، العوامل السياسية والاجتماعية بالاضافة الى العوامل الاقتصادية.
* امداد الصناعة بالرجال المهنيين، وبالقيادات الفنية والادارية.
* امداد الصناعات القائمة بالمعلومات الفنية والادارية الجديدة، لابقائها على علم بآخر التطورات في الصناعات المنافسة.
* صقل مهارات العاملين في الصناعة وتطويرها، ومساعدتهم على التعرف الى الوسائل التقنية الجديدة.
* تقديم خبرة الأساتذة ومرافق الجامعة بهدف اعطاء المشورة الصالحة لحل المشكلات التقنية والادارية.
* القيام بعمليات القياس، والاختبارات النوعية للانتاج وغيرها، وخاصة بالنسبة للمؤسسات الصغيرة.
* القيام بالبحوث التطبيقية الهادفة الى زيادة فعالية الصناعة.

كل هذه الأدوار تأتي في اطار الحل

التعليمي. وهي بالتالي تفتقر الى التحديد العملي. ولكن هل تنطبق هذه الأدوار بنفس الأهمية على صناعة قطع الحجارة؟ وصناعة انتاج الطاقة بالانصهار النووي. وهل تنطبق على كل الصناعات؟

ان الدكتور «بكر» يعزو الاجابة عن هذه التساؤلات التي أثارها في بحثه. الى طريقة التحديد العملي بالرغم من صعوبتها ومخاطرها.

تصنيف الصناعات

لما كانت التقنية هي المتغير الرئيسي في تحديد دور الجامعات في الصناعة. فانه من المجدي أن نجد تصنيفا ملائما للصناعات مبنيا على التقنية لتنطلق منه الى الاستنتاج التحديدي. وبناء عليه. فانه يمكن تقسيم الصناعات المعروفة في المجتمعات الحديثة الى المجموعات الأربع التالية:

الصناعات القديمة ذات التقنية البسيطة

وهي الصناعات التقليدية التي تعتمد على المهارات اليدوية للصانع. وتتميز ببساطة تقنياتها. المرتكزة على مبادىء العلوم الطبيعية.. مما جعلها تستغني عن دور الجامعات لقلة الحاجة الى التطوير والابتكار.

الصناعات الحديثة ذات التقنية المتقدمة المستقرة

ويدخل في هذا القسم معظم الصناعات الأساسية والخفيفة في عالمنا المعاصر. مثل صناعة البترول. والغزل والنسيج. والغذاء وغيرها من الصناعات الثقيلة. وهذه الصناعات تتطلب تنظيمات كبيرة وأسواقا واسعة.

الصناعات الحديثة ذات التقنية المتقدمة والمتغيرة

وهي الصناعات التي أنشئت فعلا وحققت نجاحا. ولكن تقنياتها لم تستقر بعد. وذلك لسعي القائمين عليها من أجل تحسينها وتطويرها. مما يحتم امتلاك أجهزة البحث العلمي التطبيقي لكل من يحاول دخول مجالها. وخير مثال على ذلك. الصناعة الالكترونية. وصناعة البتروكيميائيات. وقد أدى ذلك الى تعاظم دور الجامعة. لأهمية دور البحث العلمي.

الصناعات المستقبلية

وهي التي ينتظر قيامها في المدى القريب أو المتوسط. بسبب الحاجة الكبيرة الى ما ستنتجه. وبسبب ضرورة بذل كل جهد ممكن لحل ما تبقى من مشكلات التقنية التي تعترض عملية الانتاج الاقتصادي. غير أن أهم مشكلتين تواجهان البشرية في الوقت الحاضر هما: تأمين الطاقة الاقتصادية المأمونة. وتأمين الغذاء للأعداد المتزايدة من البشر.

هذا وتلوح في الأفق تباشير التوصل الى صناعتين حيويتين اذا ما قدر لها النجاح. أولاهما انتاج الطاقة بطريق الانصهار النووي «عكس الانشطار النووي» وذلك باستخدام مادة أولية غير قابلة للنفاذ وهي الماء. وهنا يمكن تفادي خطر الاشعاع الذري.. والصناعة الثانية هي ما سينتج عن حقل المعرفة الجديد المسمى بهندسة الجينات. وذلك بالسعي الى تطوير نباتات زراعية ذات خصائص جديدة مرغوبة عن طريق تهجين الجينات. وهي أصغر جزيئات البناء في الكائنات الحية.

دور الجامعات في الصناعة نحو التجديد

بقدر ما يكون مستوى قيام الجامعات بالأدوار الثمانية السالفة الذكر شاملا في محتواه. ورفيعا في مستواه. وصائبا في توجيهه. بقدر ما تكون نتائج التصنيع مجدية. اقتصاديا واجتماعيا. وبقدر ما يتاح للمجتمع من فرص للتخلص من ربقة التخلف التقني. والانطلاق الى رحاب القوة والرخاء الاقتصادي.

يتضح لنا مما سبق أن هناك علاقة بين دور الجامعات في الصناعة. والمحتوى التقني للصناعات من حيث المستوى والحداثة.

وكما لاحظنا. فان دور الجامعات في صناعات المجموعة الأولى ضئيل. وهو دور يتغير بشدة نحو الأهمية عندما ننتقل الى صناعات المجموعات الثانية. وهي الصناعات الأساسية في عالمنا المعاصر التي تحتاج الى مختلف المهمات التي تقوم بها الجامعات في المجتمعات الحديثة.. أما صناعات المجموعة الثالثة التي تتميز بتقدم وحداثة محتواها التقني مع تغيره المستمر. فتحتاج بالاضافة الى الأدوار السابقة الى دور البحث العلمي الأصيل. الهادف الى الابتكار. وتطوير التقنية المستخدمة باستمرار. حتى تصل الى مرحلة الاستقرار التقني النسبي. واذا ما تدرجنا الى «الصناعات المستقبلية» فاننا نجد أن دور الجامعات يزداد أهمية. بقدر حاجة الصناعات الى التقنية الاقتصادية. وليس الى تطويرها فقط. كما أن الحاجة تشتد الى الابتكار والحلول الجذرية التي تبرز فقط عن طريق تضافر جهود العلماء ورجال الأبحاث.

ومن هنا نخلص مع الدكتور «بكر». الى أن أهمية دور الجامعات في الصناعة تزداد بازدياد المحتوى التقني لعملية التصنيع من حيث الحداثة والمستوى التقني □

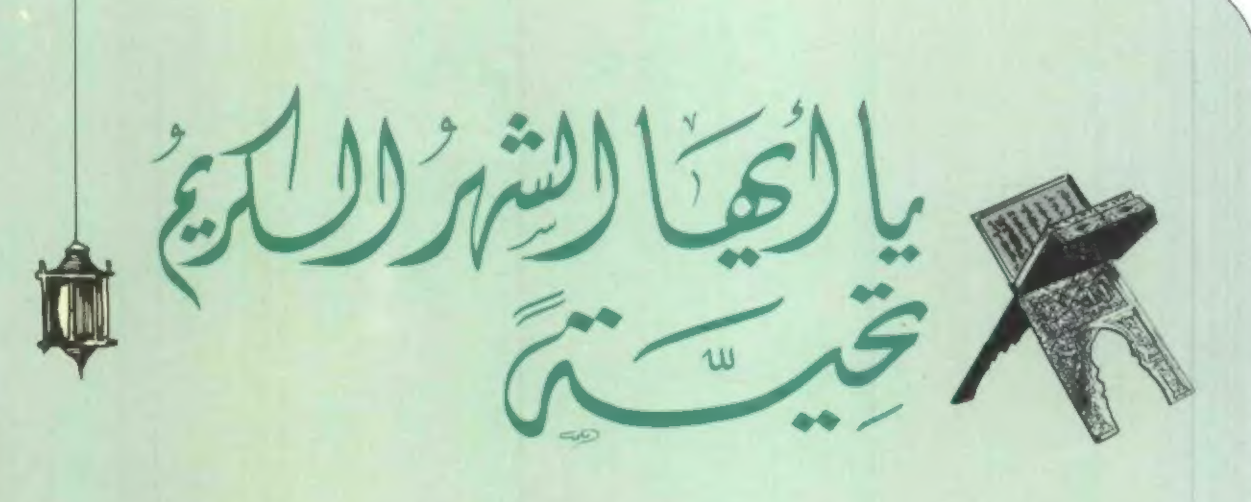

شعر: عبدالحفيظ محمد عبدالحميد / القاهرة

لقياكَ نفحةُ رحمةٍ تسري بنا للنورِ والايمانِ
بالحبِّ تجمعُنا فتأتلفُ القلوبُ على هدى الرحمنِ
أقبلت فانبثقَ الضياءُ يعود مبتسما بكلّ مكانِ
تأتي وفي يدكَ الكريمةِ رحمةٌ تنسابُ بالإحسانِ

* * *

تسْعى الى الدنيا وقلبُكَ صفحةٌ تزدانُ بالغفرانِ
تأتي فتفتح كلَّ بابٍ مغلقٍ للنورِ والعرفانِ
وتسدُّ بالايمانِ والاحسانِ كلَّ منافذِ الشيطانِ
يأيها الشهرُ الكريمُ تحيةً تأتيكَ من وجداني

* * *

تمضي مع الاخلاصِ تربطُنا بخالقنا فأنتَ الباني
وتروحُ تمسحُ دمعةَ الفقراءِ حتى لا يضيقَ العاني
والبؤس تمسحه فتدفع آهةً حيْرى لدى الانسانِ
والنور يمشي في ركابكَ هاديا يا كوكبَ الحيرانِ
والخيرُ تصنعُه يداكَ لمبتهلٍ في ظلكَ الفينانِ
تضفي عليه من البشائرِ نعمةَ التسبيحِ والايمانِ
فاذا به عبدٌ شكورٌ أخلصَ التوحيدَ بالشكرانِ
وأنابَ نحو اللهِ مغتبطا وحبُّ الخيرِ في الوجدانِ

* * *

رمضانُ جئتَ تعلّمُ الانسانَ حبَّ الصبرِ والاذعانِ
أنتَ الذي علمتنا أن الصيامَ لصحةِ الأبدانِ
صوموا تصحوا فالصيامُ فريضةٌ جمعَتْ بني الانسانِ
أنتَ الذي وهب الجزاءَ لصائمٍ في جنةِ الرضوانِ

* * *

رمضانُ جئتَ موحداً للمسلمينَ بنعمةِ القرآنِ
تمضي لتربطَ حازماً بين الورى بصلابةِ البنيانِ
صفاً توحِّدهمُ قوياً في العزيمةِ ثابت الأركانِ

* * *

رمضانُ جئتَ موحِّداً للمسلمين بنعمةِ القرآنِ
يتلون من عِبَرِ الكتابِ حديثهُ عن سالفِ الأزمانِ
فاذا القلوب تجيشُ خاشعةً فيسري الخوفُ في الأبدانِ

* * *

ذكراكَ يا رمضانُ تُشْرقُ في القلوبِ بحبكَ الهيمانِ
ذكراكَ يا رمضانُ عطّرها الهدى بالوردِ والريحانِ
تأتي لياليكَ الكريمةُ تزرعُ الاحسانَ في الاحسانِ
وتذيبُ ما ضقْنا به ذرعاً من الأحقادِ والاضغانِ
فاذا الحياةُ بهيجةٌ فيها الجمالُ يطوفُ بالألحانِ

* * *

اللهُ اكبرُ جئتَ يا رمضانُ بالتوحيدِ والايمانِ
اللهُ أكبرُ تصنعُ الايمانَ نورا في دُجى الأزمانِ

جائزة الدولة التق
لعام ١٤٠٣هـ

سليمان نصر الله / هيئة التحرير

براءة جائزة الدولة التقديرية في الأدب

إن الدولة بتكريمها ثلاثة من أبنائها
الرواد ، الذين حملوا ألوية الأدب ومشاعل
الفكر في فترة مبكرة من تاريخ الحركة الأدبية والثقافية
في المملكة ، إنما تجسد اهتمامها الكبير تجاه الكلمة الفعالة والحرف
النير ، ورعايتها الأصيلة لمفكريها وأدبائها ، وذلك
انطلاقاً من حرصها على دفع الحركة الفكرية ، وترسيخ جذورها على
أسس من القيم الدينية والروحية ، لمواكبة مسيرتها الحضارية . وقد تجلى هذا
واضحاً ، في الحفل الأول لجائزة الدولة التقديرية في الأدب ، تحت رعاية
جلالة الملك فهد بن عبد العزيز ، راعي النهضة الفكرية ، وقد نظمته
الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، ممثلة برئيسها العام ورئيس لجنة
الجائزة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز ،
ودعت إليه نخبة كبيرة من أعلام الصحافة وأقطاب
الأدب والفكر في الوطن العربي .

...ديرية في الأدب

التقدير في الحفل الأول لجائزة الدولة التقديرية في الأدب

لقد كان يوما مشهودا في تاريخ الحركة الأدبية والفكرية، ذلك اليوم الذي تفضل فيه جلالة الملك فهد بن عبد العزيز بتسليم جائزة الدولة التقديرية في الأدب، لثلاثة من أبرز الأدباء السعوديين في المملكة فازوا بالجائزة، وهم الشيخ حمد الجاسر، والأستاذ احمد السباعي، والاستاذ عبدالله بن خميس، وذلك في ٢٠ من شهر محرم ١٤٠٤هـ في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بالرياض. في هذه المناسبة الكريمة شهدت الرياض مهرجانا أدبيا وفكريا، قامت بتنظيمه الرئاسة العامة لرعاية الشباب بتوجيهات صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب ورئيس لجنة الجائزة، وجهود الأمانة العامة لجائزة الدولة التقديرية في الأدب التي يرأسها الأستاذ عبد الرحمن محمد العليق. وقد شارك في هذا الحفل ما يربو على ثلاثمائة من أبرز رجال الأدب والفكر والصحافة في المملكة والأقطار العربية.

لقد اتسم الحفل بأبعاد ودلالات كبيرة، تجسد المعاني الأصيلة لهذه الجائزة الكبيرة، التي تمثلت ماديا بمكافأة سنوية مقدارها مائة ألف ريال تمنح للفائز مدى الحياة وبراءة في الأدب، وميدالية ذهبية، ومعنويا بقيم رفيعة مستمدة من الشريعة الاسلامية التي رفعت مكانة العلماء وجعلت من العلم قاعدة أساسية لبناء حضارة زاهية ومجتمع سليم، عملا بقوله سبحانه وتعالى: **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**، ويأتي ذلك التقدير انطلاقا من ايمان الدولة العميق بما للعلم والفكر من أثر قوي في النمو والبناء، وتكريما منها للرواد وتشجيعا على الاستمرار في العطاء، وحافزا للانتاج الفكري المثمر، وترسيخا للجذور التراثية العريقة القائمة على القيم الدينية

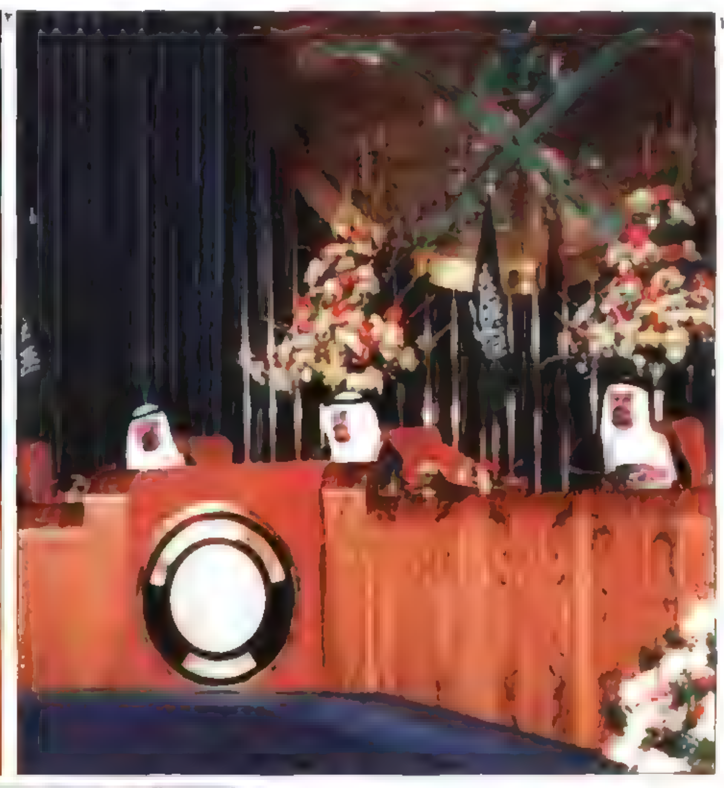

والروحية التي تدعم مسيرته الحضارية. فكانت أول ثمار هذا الحفل إنشاء المجمع العلمي اللغوي الذي أمر به صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز.

قناة الثقافة وأبعادها البعيدة

تعد جائزة الدولة التقديرية في الأدب التي تمنح للأدباء والمفكرين من أبناء هذا البلد أعلى وسام تقدمه الدولة للأديب والمفكر. وشهادة وفاء وتقدير لما قدمه من نتاج. فضلاً عن كون ذلك يمثل تكريماً حسياً للأقلام والمفكرين جميعاً. ودليلاً حياً على قيمة الفكر في هذا الوطن والمجتمع معاً. ومن هذا المنطلق أنشئت جائزة الدولة التقديرية في الأدب بناء على اقتراح من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز بهدف تكريم الرواد في مجال الفكر والثقافة والأدب. والحفاظ على التراث الأدبي واللغوي وتنميته. وتشجيع الأدباء على الإجادة والإتقان ومواصلة العطاء الفكري المبدع وقد صدر الأمر السامي الكريم رقم ١٢٦٤٥ بتاريخ ٢٠/٥/١٤٠٠هـ بإنشاء جائزة الدولة التقديرية

في الأدب. وتمنح كل عام لثلاثة من رواد الأدب السعودي الذين أسهموا في إثراء الحركة الفكرية والأدبية في المملكة. على أن لا تقل سن الأديب عن الخمسين سنة كما صدر الأمر السامي الكريم رقم ٣٨ بتاريخ ١٣/٨/١٤٠٢هـ بتشكيل لجنة عليا للجائزة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز وعضوية خمسة من رجال الفكر والأدب يسمون بأمر ملكي بناء على ترشيح من المقام السامي. وأعضاء لجنة الجائزة هم معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ، وزير التعليم العالي. ومعالي الدكتور غازي بن عبد الرحمن القصيبي، وزير الصحة. ومعالي الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. والدكتور منصور

ابراهيم الخارمي. أستاذ الأدب العربي الحديث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض وعميد مركز الدراسات الجامعية. والأستاذ محمد حسين زيدان، رئيس تحرير مجلة دارة الملك عبد العزيز «الدارة»، وعضو مجلس إدارتها.

وتتولى هذه اللجنة رسم السياسة العامة للجائزة وإقرار أو تعديل النظم الداخلية الخاصة بالجائزة ودراسة التقارير المرفوعة عن المرشحين من قبل الهيئات العلمية والمؤسسات الأدبية ومن الأفراد ومن أعضاء اللجنة. واختيار الفائزين بالجائزة ورفع النتيجة إلى جلالة الملك للمصادقة عليها. وقد عقدت اللجنة العليا أول اجتماع لها بتاريخ ١٤٠٣/٣/٦هـ. وتم فيه اتخاذ الإجراءات التنفيذية الكفيلة بإبراز هذه الجائزة إلى حيز الوجود. وتم تشكيل الأمانة العامة للجائزة واختير مدير الشئون الثقافية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب أمينا عاما للجائزة. وتعتبر الأمانة العامة جهازا تنفيذيا يضطلع بجميع أعمال الجائزة من إدارية وفنية. وتتولى مهام التنسيق والتخطيط والمتابعة وتنفيذ قرارات اللجنة العليا للجائزة. وقد تم تشكيل الجهاز الفني للأمانة العامة من بعض المهتمين بالثقافة والأدب والفكر بالإضافة إلى بعض المتخصصين في فروع الأدب واللغة. ومن بين مهام هذا الجهاز تحديد الجهات التي تدعى للترشيح للجائزة. والجهات التي يستفاد منها في التحكيم والاختيار. واقتراح المحكمين القادرين على فحص الانتاج وتقويمه. وتحديد اختيار الخبراء الذين يستعان بهم لبيان مدى مطابقة الانتاج لشروط الجائزة قبل عرضه على المحكمين. كما تم تشكيل لجان فنية أخرى مؤقتة. مهمتها الاستعانة بمن تراه من الخبراء والمتخصصين عن بحث موضوع معين أو تقويم انتاج أو إبداء رأي أو كتابة تقرير عن موضوع من موضوعات الجائزة. ويختص الجهاز الاداري في الأمانة العامة للجائزة بعدد من المهام. ومن ضمنها توجيه دعوات الترشيح الى الهيئات العلمية

والمؤسسات الأدبية والثقافية وتحدد اللجنة العليا أسماء المدعوين من رجال الأدب والفكر والصحافة من داخل المملكة وخارجها لحضور حفل توزيع الجائزة التقديرية في الأدب. ونظرا لأن العام الأول للجائزة يعتبر تجربة رائدة في المملكة. من حيث وضع الأسس الثابتة وتحديد المسار الذي سوف تسير عليه الجائزة للأعوام القادمة. فقد قامت الأمانة العامة باجراء اتصالات واسعة ومكثفة لوضع قرارات لجنة الجائزة موضع التنفيذ. وقامت بالاتصال بالهيئات المماثلة كالأمانة العامة لجائزة الملك فيصل. ودارة الملك عبد العزيز والأمانة العامة للمجلس الأعلى للاعلام، وبعض الهيئات والوزارات ذات العلاقة بموضوع الجائزة. لتحديد أبعاد الخطة التي يتم على أساسها الانطلاق للعمل وقد عهدت الأمانة للجائزة الى عدد من الفنانين السعوديين لتصميم شعار للجائزة يتلاءم مع مكانتها. وكذلك وضع التصميم الخاص بالمطبوعات المتعلقة بالجائزة وعليها شعار الجائزة كما قامت الأمانة بتشكيل لجان فنية تختص بوضع التصاميم الخاصة بالدروع التي اهديت لجلالة الملك فهد بن عبد العزيز في حفل توزيع الجائزة. وكذلك تصميم الميداليات الخاصة بالفائزين.

والجدير بالذكر أن ترشيح الأدباء هذا العام تم عن طريق الهيئات والمؤسسات العلمية والأدبية، كالجامعات، والجمعيات الثقافية، والأندية الأدبية، والمجلات المتخصصة، والصحف المحلية. حيث أرسلت استمارات الترشيح لتتولى ارسالها الى من يستحق الجائزة من الأدباء ورجال الفكر. ويقوم الأدباء المختارون بتعبئة الاستمارات وتعيدها جهة الترشيح لأعضائها وارسالها الى الأمانة العامة للجائزة ثم تولت الأمانة العامة تبويب جميع المعلومات الخاصة بالمرشحين وتخزينها في جهاز الكمبيوتر بمركز المعلومات. حتى يمكن استخراجها في أي وقت للاستفادة منها. ولتصبح مرجعا للباحثين والدارسين والهيئات العلمية. وتمكين المعنيين بالأدب والفكر من تسجيل مراحل تطور الحركة الأدبية في المملكة وفي التاسع عشر من شهر رمضان ١٤٠٣هـ عقدت اللجنة العليا للجائزة اجتماعها الثاني بمدينة الطائف وتم التوصل الى العديد من القرارات والتي كان من أهمها رفع أسماء الفائزين الثلاثة من الأدباء المرشحين. ورفع أسمائهم الى جلالة الملك للموافقة عليها وصدر في عد

جلالة الملك يسلم جائزة الدولة التقديرية للأدب في عام ١٤٠٣هـ لثلاثة من كبار الأدباء السعوديين الذين ساهموا بعطائهم الرائد في اثراء الحركة الأدبية والفكرية والثقافية في المملكة. وهم حمد الجاسر، وأحمد السباعي، وعبد الله بن خميس

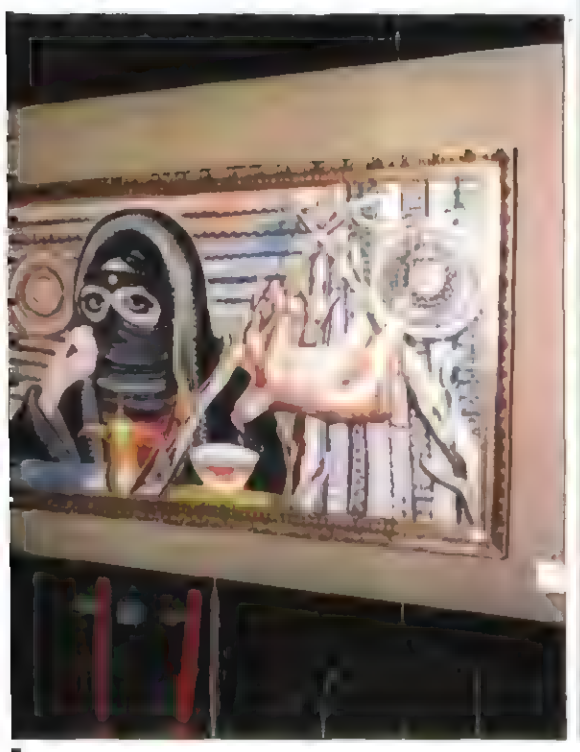

الفائزون بجائزة الدولة التقديرية

فرسان جائزة الدولة التقديرية في الأدب لعام ١٤٠٣هـ وهم السباعي والجاسر وابن خميس. لا يحتاجون الى تعريف. فهم من واضعي حجر الأساس للحركة الأدبية والفكرية في المملكة. ومانحي ألوية النهضة الأدبية للأجيال من بعدهم. اما أول فارس من فرسان الجائزة فهو الأستاذ احمد محمد السباعي. المؤرخ والكاتب والأديب والصحفي ولد بمكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ ويقيم في حي حارة المسفلة. لم تعرف المؤهلات في عهده بالأسلوب المتعارف عليه اليوم. فقد كانت دراسته الأولية في مدارس مكة المكرمة واستظهر القرآن عليه. وانتقل بعد ذلك الى المدرسة الراقية بحلي هندي. وقبل أن يتم دراسته بها توفي والده. فاضطر الى ترك المدرسة ليبدأ حياته العملية في فترة قاسية. زامنت اندلاع الحرب العالمية الأولى. وذلك بعد أن تتلمذ على يد عدد من المشايخ مثل احمد حميل وعمر صيرفي وعمر مهدي وغيرهم. بدأ السباعي حياته العملية مدرسا في احدى المدارس التحضيرية بمكة المكرمة ومدرسا لتحفيظ القرآن فيها. ثم تنقل بين المدارس عدة سنوات حتى صار مديرا لمدرسة دار الفائزين. ثم انتقل الى العمل في وزارة المالية مفتشا بها. وعندما تأسست الاذاعة السعودية عين سكرتيرا عاما في تشكيلاتها. وفي مجال الصحافة بدأ السباعي حياته الصحفية في جريدة «صوت الحجاز» وكان صاحب امتيازها الشيخ محمد صالح نصيف. رحمه الله. وقد تعاقب على رئاسة تحريرها كل من عبدالوهاب آشي ومحمد حسن فقي والعمودي. وكان السباعي محررا في هذه الجريدة. وفي الخمسينات الهجرية أصبح رئيسا لتحريرها حتى آلت الجريدة الى الشركة العربية للطباعة والنشر. فعيّن مديرا لها. وبقي فيها حتى توقفت قبيل الحرب العالمية الثانية. وقد أسس «مطابع الحرم» في مكة المكرمة. وبدأ في اصدار

ميدالية جائزة الدولة التقديرية في الأدب

جريدة الندوة في شهر رجب عام ١٣٧٧هـ. فصدرت أسبوعية مؤقتاً. ثم صدرت ثلاث مرات في الأسبوع حتى أدمجت جريدة حراء وانتقل امتيازها للأستاذ صالح محمد جمال فصدرت تصدر يومياً.

وفي عام ١٣٧٩هـ أصدر السباعي مجلة قريش وكانت تصدر كل يوم اثنين. واستمرت في الصدور حتى عام ١٣٨٣هـ. وبعد صدور نظام المؤسسات الصحفية أصبح السباعي عضوا مؤسسا في مؤسسة مكة للطباعة والاعلام التي تصدر جريدة الندوة حتى الآن. والسباعي كان رائداً في محاولة انشاء أول مسرح سعودي في مكة المكرمة باسم مسرح قريش الذي لا يزال مبناه قائماً. ولكن حالت الظروف لذلك دون افتتاحه. وللسباعي مؤلفات تاريخية وقصصية وأدبية عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر أم زامل وهو قصة الجيل الماضي حيث يطرح فيه آراءه في التربية والتعليم ويبين نظرته للحياة والناس. وكتاب تاريخ مكة وهو دراسة في تاريخ مكة منذ نشأتها وحوادثها السياسية والعلمية والاجتماعية والعمرانية على مر العصور. وكتاب دعوة تمش وهو دعوة صريحة للعمل في ... حتى جديد لقوة الرجال متوثب للنهوض فيه. ويتحدث السباعي كتابه في مقدمته قائلاً انه يعاني مرضاً مزمناً ألبسه دواؤه في عرقه من ألف سنة. فليس من اليسير أن نتخلص من كل دوائه ضربة واحدة. ولكنه ليس من العسير كذلك أن نلتمس العلاج في عهد تيسرت فيه جميع الامكانات. وأصبح من المستحيل فيه أن نعتل بذكر مستحيل. ومن المؤلفات الأخرى للسباعي خالتي كدرجان وقصص أخرى وفلسفة الجن وأفكار ونصف ويوميات مجنون وصحيفة السوق وسباعيات والقراءة العربية والأمثال الشعبية في مدن الحجاز وأوراق مطوية والمسبعيات. وهو آخر العنقود في رحلة السباعي الطويلة مع الكلمة والفكر. حيث يستعرض فيه المشاهد القصصية ويصور ملامحها. ولا نستطيع أن نقول في السباعي أكثر مما قالته الجهات التي منحته الجائزة ذات مرة: الأستاذ أحمد السباعي عملاق من عمالقة الأدب والصحافة في بلادنا. نشأ هو والصحافة معاً. وكان له دوره البارز في مختلف الفنون الأدبية. كما كان

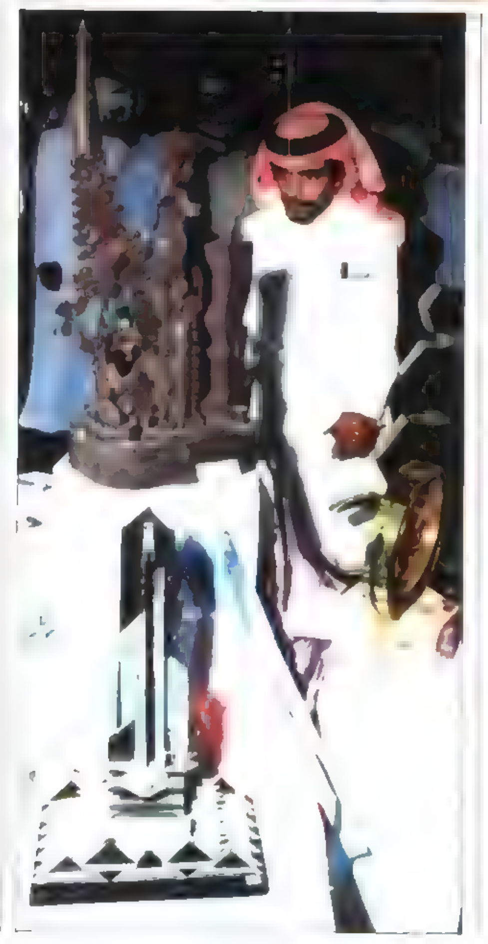

له وللصحف التي يصدرها ويشرف عليها من خاص متميز. كما كان لأسلوبه هذه خصوصية المتميزة. فهو أسلوب سهل منطلق. فيه الكثير من الرشاقة والنضارة الى جانب الدقة والموضوعية والنقد الى أعمق الجذور والجذوع. وساعدته عقليته المتفتحة على أن يسبق جيله. وأن يكون له دوره الريادي في عدد من المجالات الأدبية. ومنها بعض المجالات التي بدأ الاهتمام بها مؤخرا كالمسرح والفنون المسرحية. كما أنه من الأدباء القلائل الذين جمعوا بين دقة الدراسات العلمية مع التفاعل في الحياة الشعبية. وتصوير الظواهر الاجتماعية كما أسهم في الدراسات التاريخية وفي التأليف المدرسي. وعاش حياته الطويلة يكتب ويدرس ويناقش. ويحلل الظواهر والأحداث. فهو شيخ الأدباء دون منازع.

أما الفارس الثاني فهو الشيخ حمد الجاسر. الكاتب. والمؤرخ. والمفكر. والأديب. والصحفي اللامع. ولد في قرية البرود من اقليم السر سنة ١٣٢٨هـ حفظ القرآن صغيرا وأكمل تحصيله الدراسي في الرياض. ثم رحل الى مكة المكرمة حيث تعلم في المعهد السعودي. عمل في التعليم والقضاء وادارة المعارف لمدة. سافر الى مصر ودخل كلية الآداب بجامعة القاهرة. ولما عاد عين مديرا لكليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض عام ١٣٧٦هـ ومديرا عاما للكليات والمعاهد العلمية. أنشأ أول صحيفة في الرياض باسم اليمامة عام ١٣٧٢هـ. كما أنشأ في العام ذاته أول مطبعة بالرياض. وأنشأ دار اليمامة للبحث والتأليف والترجمة. وشارك في انشاء مؤسسة اليمامة الصحفية. وعمل في الصحافة ثم أصدر مجلة العرب التي قطعت عامها الثامن عشر هذا العام. وأصدر سلسلة معجم قبائل العرب. والمعجم الجغرافي. كما أصدر الكثير من المؤلفات وحقق العديد من الكتب. وهو عضو في المجمع العلمي بدمشق. ومجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ سنة ١٣٧٨هـ. والمجمع العلمي العراقي. ومن بين مؤلفات الشيخ حمد الجاسر المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية. الخاص بشمال المملكة ومدن

حائل والجوف وتبوك وعرعر والقريات. والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية أسماء المدن والقرى وأهم الموارد المائية. ومدينة الرياض عبر أطوار التاريخ وصفة جزيرة العرب وفي سراة غامد وزهران وسوق عكاظ وبلاد ينبع ورسائل في

تاريخ المدينة وأبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع ومعالمه أبو اسحق الحربي وكتابه في المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. هذا بالاضافة الى مئات المقالات والدراسات التي نشرت بمجلات خاصة العرب. واليمامة. والمنهل. وأم القرى. والجامعة. ذلك هو العلامة حمد الجاسر الذي يكفيه فخرا مجلة العرب التي تعتبر مرجعا لكثير من الدارسين والباحثين. وكانت تلك المجلة التي ينهض بأعبائها وحده. حمل الدور الأول الخاص الكبير في وضع معجم جغرافي للبلاد العربية السعودية. فهو عالم موسوعي المعرفة. حتى لقد وصفه البعض بأنه يعادل مجمعا علميا. وقالت احدى الجهات التي رشحته للجائزة: الشيخ حمد الجاسر علم

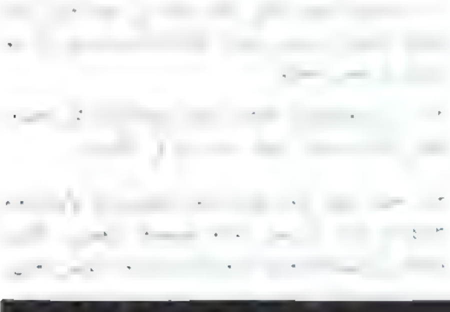

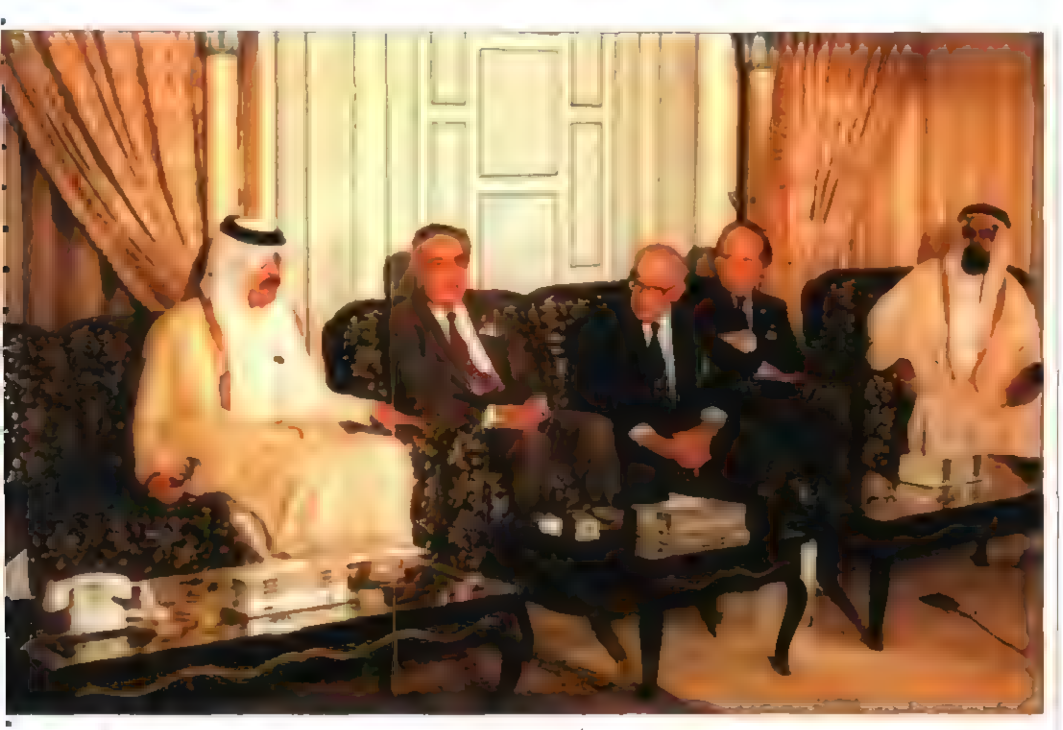

جهوده العلمية عن كل تعريف. وتقصر الكلمات عن أن توفيه حقه من الإشادة والتكريم. لقد جهوده العلمية والأدبية وبحق للمملكة العربية السعودية أن تعتز بها كل الاعتزاز. وقد فتحت الجامعة على ثمة مرشحين لنيل جائزة الدولة التقديرية في الأدب في دورتها الثالثة. وهو عبدالله بن خميس. فقد ولد في ملهم إحدى ضواحي الدرعية سنة ١٣٣٩هـ. وتعلم في أحد الكتاتيب القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة. كما قرأ على أبيه أنواعاً من العلوم وخاصة علوم الشريعة والتاريخ والأدب. وتأثر بأبيه وأخذ عنه حبه للشعر والأدب ثم التحق بدار التوحيد بالطائف ونال شهادتها الابتدائية والثانوية. ثم نال الشهادة العالية من كليتي الشريعة واللغة العربية بمكة المكرمة. وبعد تخرجه من كليتي الشريعة واللغة العربية عين ابن خميس مديراً لمعهد الأحساء العلمي لمدة سنتين. ثم عين مديراً لكليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض. فمديراً عاماً لرئاسة القضاء فوكيلاً لوزارة المواصلات. ثم عين عضواً في مجلس إدارة شركة الكهرباء بالرياض ووكيلاً لإمارة منطقة الرياض. ورئيساً لمصلحة مياه الرياض. وعضواً في المجلس الأعلى

للإعلام. وقد اختير ابن خميس عضواً في المجمع العلمي بالقاهرة. وعضواً في المجمع العلمي العراقي بالإضافة إلى مشاركاته العديدة في المؤتمرات الأدبية داخل المملكة وخارجها.

ومعروف أن ابن خميس له صلة وثيقة بالصحافة حيث أصدر جريدة هجر أثناء عمله في الأحساء. وعمل مراسلاً لصحيفة اليمامة وعمل محرراً في عدة كانت تطبع في مكة المكرمة وبعدها عاد إلى الرياض فأصدر مجلة الجزيرة وكانت مجلة أدبية جامعة سياسية. وبقي ابن خميس قائماً على جريدته حتى صدور نظام المؤسسات الصحفية عام ١٣٨٣هـ. وعلى أثره تأسست مؤسسة الجزيرة الصحفية التي تصدر الآن جريدتي الجزيرة والمسائية. فقد صدرت جريدة الجزيرة أسبوعية في بادئ الأمر ثم أصبحت يومية ثم صدرت المسائية كأول جريدة مسائية في السعودية وفي منطقة الخليج العربي عام ١٤٠٢هـ. ومن مؤلفات الأديب الشاعر ابن خميس الأدب الشعبي في قلب جزيرة العرب، وبلادنا والزيت، والدرعية، وراشد الخلاوي، والشعر النبطي، المتدارك للشعر الفصيح، وشهر في دمشق، والشوارد، وعلى ربى اليمامة، والمجاز بين اليمامة والحجاز، ومعجم جغرافية المملكة العربية السعودية، ومعجم اليمامة، وتاريخ اليمامة، [illegible] شعر [illegible] ومن جهاد قلم. ومعروف عن ابن خميس اهتمامه بالأدب الشعبي الذي فيه عمل أدبي خالد [illegible] شخصية بحاثة الأستاذ عبدالله بن خميس من الأعلام [illegible] في جزيرة العرب. وله دور [illegible] في العديد من مجالات الثقافة والفكر، وله إسهاماته في تيارات الأصالة والحفاظ على [illegible] وهو شاعر [illegible] وأديب [illegible] شارك في الكثير من مجالات الأدب، في ميادين الفصحى والأدب الشعبي [illegible] لم يكتف [illegible] جهوده بل ساهم في [illegible] التي شكلت هذا الهدف. ومن [illegible] عضوية [illegible] كثيرة في مجالات الأدب والعلم في كثير من المجامع والمجالس والمحافل كالمجمع العلمي بالقاهرة. والمجمع العلمي العراقي. والمجلس الأعلى للإعلام. ومجلس إدارة مؤسسة الجزيرة. ومجلس إدارة

المجلة العربية ومجلس ادارة مجلة الدارة، ولجنة تقويم أم القرى، فهو عضو في عدة لجان داخل المملكة.

الفن يحتفي بالأدب والفكر في شخص الفائزين

لم يقتصر تكريم الفائزين بجائزة الدولة التقديرية في الأدب على حفل كبير ضم شخصيات أدبية رفيعة المستوى من المملكة والبلاد العربية، بل تجاوز الأمر ذلك لجعل هذه المناسبة حقا مهرجانا متكاملا للأدب والفكر، فقد حرصت الأمانة العامة للجائزة على تحقيق الهدف النبيل من هذه المناسبة عندما أقامت المعرض الأول للكتاب السعودي في مدخل قاعة الملك فيصل للمؤتمرات، وذلك للتعريف بالأدباء السعوديين عن طريق عرض انتاجها الفكري لاعطاء صورة واضحة عن ملامح النهضة الثقافية والأدبية التي تعيشها المملكة. واطلاع المدعوين من أدباء ومفكري الدول العربية الشقيقة على الانتاج الفكري الذي تزخر به. واشتمل المعرض على قسمين. أحدهما لعرض مؤلفات الفائزين بالجائزة والآخر لعرض المؤلفات التي أمكن الحصول عليها للأدباء والمفكرين السعوديين، وبلغ عدد العناوين التي تم عرضها نحو ألف عنوان. وقد تعاونت بعض الهيئات مع أمانة الجائزة في اقامة المعرض، من بينها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، ودار الكتب الوطنية وبعض دور النشر الوطنية، والأندية الأدبية.

وقد أسهم الفن بشكل معبر في تكريم الفائزين خاصة، والأدب عامة، عندما شارك ما يربو على مائة من الفنانين والفنانات السعوديين من مختلف أنحاء المملكة، بلوحات آية في الروعة والجمال، في المعرض السادس للفن السعودي المعاصر، الذي دعت الى اقامته الرئاسة العامة لرعاية الشباب وتخصيص ريعه لصالح جمعية رعاية الأطفال المعوقين، تجسيدا لهدف المعرض الانساني، ومشاركة الفن التشكيلي السعودي والفنانين في آمال أبنائهم

واخوانهم المعوقين. وقد بلغت الأعمال الفنية المقدمة للمعرض ثلاثمائة عمل فني في فروع الفنون التشكيلية المختلفة من تصوير، ورسم، وحفر، وأعمال خزف، وفنون تطبيقية. وقد افتتح المعرض تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز، الرئيس العام لرعاية الشباب، وحضور معالي وزير الصحة الأسبق، رئيس جمعية رعاية الأطفال المعوقين الخيرية، الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي، وحشد كبير من رجال الفكر والأدب ممن حضروا احتفال توزيع جائزة الدولة التقديرية في الأدب.

وحول أهمية دور الفن في الحياة، قال **فيصل بن فهد: «للفن التشكيلي دور حيوي في** بناء الحضارات منذ العصور القديمة كرافد أساسي من روافد الثقافة بمفهومها الواسع، وتحتضن قواها المتسمة بالخلق والابداع، وفي مقدمتها العاطفة والخيال. والفن وتاريخ يسجل الحقائق والوقائع. كما أن الفن الراقي ذروة خيرة للشعوب العظيمة وشعب له ماض عريق. فقد انبثقت من هذه الرقعة من المعمورة حضارة عظيمة ألا وهي الحضارة الاسلامية. ونحن نعتز بالفن التشكيلي السعودي الذي أثبت أصالته وعاطفته الانسانية النابعة من روح عقيدته الاسلامية السمحة. فهو يواكب مسيرة التطور في بلادنا العزيزة. لما يتمتع به من ملكات وقدرات، تجعله قادرا على أن يشق طريقه، مستلهما موضوعاته من بيئته ومبادئه الاسلامية، آخذا بيد مجتمعه والمجتمع الانساني نحو القمة، حيث ملتقى الحق والخير والجمال».

وقد تجلى تكريم الفن للأدب في أوسع معانيه، عندما قدم الفنان أحمد عبدالله المغلوث من الاحساء ثلاث لوحات رسمها للأدباء الثلاثة الفائزين بجائزة الدولة التقديرية في الأدب، هدية منه. وتعددت الأسماء الفنية في هذا المعرض من مختلف مناطق المملكة، وجاءت أعمالهم الفنية تعبر عن المستوى الرفيع الذي بلغه الفن التشكيلي في المملكة وتبرعوا بدخلها لصالح جمعية المعوقين. فقد شارك الفنان محمد موسى سليم خمس لوحات فازت احداها (الجسر الأخضر) بالمركز الأول. وقدم الفنان الدكتور عبد الحليم رضوى لوحة واحدة (الكتاتيب) وفاز بالمركز الثاني. وقدم الفنان محمد سيام لوحة واحدة (التكوين) وفازت بالمركز الثالث. وفاز بجائزة الفنون التطبيقية الفنان سعد المسعري

أقوال حول الجائزة والحركة الأدبية في السعودية

«أرحب بالأدباء الذين يحضرون هذا الحفل من مختلف أنحاء العالم العربي. وانها لفرصة يلتقي بها الأدباء والمفكرون العرب ليتبادلوا الآراء فيما يهم الأمة العربية، التي لن يكون لها قيمة الا اذا عادت الى القاعدة السليمة وهي القاعدة الاسلامية. ان الاسلام هو الذي أعز الأمة العربية والتي لم تكن لها مكانة مرموقة قبل ذلك. ومجيء الاسلام هو الذي صقلها وأعطاها مكانتها المتميزة. واني أدعو الأدباء والمفكرين الى أن يبذلوا جهدهم لتصحيح صورة الاسلام التي شوهها أعداؤه وذلك كي ينيروا الطريق أمام الأمة العربية وأمام الأجيال الحاضرة والقادمة. والتي ينبغي أن تعرف مقدار ما لحق بتاريخها من تشويه».

الملك فهد بن عبد العزيز

«ان الحفل الأول لجائزة الدولة التقديرية في الأدب مهرجان للفكر الأصيل ومنبر للثقافة المبدعة، وان تقديم الجائزة انما هو البرهان الحي على أن الحضارة هي الأم الرؤوم. ويسرني أن أعلن أن جلالة الملك المفدى قد أصدر أوامره بانشاء المجمع العلمي اللغوي».

الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز

«ان أمر جلالة الملك فهد بن عبد العزيز بتخصيص جائزة تقديرية للأدب انما يأتي تجسيدا لاهتمام جلالته بالأدب والأدباء وتقديرا للدور الذي يضطلعون به في سبيل اشاعة القيم والمفاهيم النبيلة في المجتمع».

الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز

«ان رسالة الأديب في الحياة رسالة كبيرة هدفها ابراز قيم الحق والخير والجمال ومد يد العون الى أمته وتوجيهها بالمفيد من الرأي السديد والحكمة البالغة وزرع الأمل في نفوس شبابها. وبث نزعة الطموح في أرواحهم. للوصول الى أنبل الغايات، وان أية أمة تسعى الى بناء حضارتها وتتطلع الى بلوغ غاياتها لا بد وأن تهتم بأدبائها ورجال الفكر فيها».

عبد الرحمن محمد العليق

«أرى في جائزة الدولة التقديرية تشجيعا للأدباء على المزيد من العطاء».

الساعي

«ان الثلاثة الفائزين بالجائزة ليسوا بالضرورة هم الأفضل. وان بين الأدباء السعوديين من شعراء وكتاب من هم أحق بالتقدير. وان تقدير الدولة سيكون شاملا للأدباء الشباب».

الجاسر

«ان الأديب الجدير بالتقدير هو من صور حياة أمته تصويرا صادقا. لأن الأمة اذا ما أدركت نفسها من خلال آثار علمائها وأدبائها ومفكريها استطاعت أن تأخذ حياتها التي تختارها».

الجاسر

«ان الحركة الأدبية في المملكة جيدة، فهي تواكب الحركة الأدبية على المستوى العربي، بيد أن المنشورات السعودية تحتاج الى قوة في التوزيع والاعلام».

ابن خميس

«اذا اعتبرنا الجوائز الأدبية والعالمية في هذا العصر مظهرا من مظاهر التكريم والاعتراف بجهود العاملين النابهين في أية أمة من الأمم، فان تاريخنا العربي والاسلامي يحفل بصور عديدة من صور تكريم الأدباء والشعراء واللغويين والنحويين. وما أسواق العرب المعروفة الا مهرجانات لتكريم النابغين والنابهين من الشعراء. ويروى أن النبي، صلى الله عليه وسلم، أهدى بردته لكعب بن زهير بعد دخوله الاسلام تكريما له ولقصيدته المعروفة بالبردة والتي مطلعها:

باَنت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم اثرها لم يفد مكبول

علوي طه الصافي

«انني اذ أحيي هذا الموقف النبيل من جلالة الفهد العظيم من الأدب والأدباء في هذه المناسبة لا أريد أن أصفق للجائزة وأتغنى بها بقدر ما أريد أن أضع هذا العمل الجليل في اطاره التاريخي وأشير الى بعض دلالاته الحضارية في تاريخ أمتنا المجيدة. فهي من ناحية تعطي التفسير الحقيقي الصادق لايمان الفهد المطلق بدور العلم والفكر والأدب في بناء الأمم وحياة الشعوب، ومن ناحية أخرى فانها تدل على أننا أمة ابتدأت تحقق ذاتها وتعتمد على أبنائها وتقيم لهم أعراس المجد وتبني لهم صروح الخلود».

د. محمد العيد الخطراوي

«هذه الالتفاتة رائعة من الدولة، وهذا التكريم ليس فقط لثلاثة أدباء فازوا بالجائزة بل لجميع أعضاء الوسط الأدبي بالمملكة، وهذا التكريم، بلا شك، سوف يدفع بأدبائنا الى الأمام حتى يقفوا الى جوار مشاهير الأدباء بالوطن العربي. وأتمنى من الدولة ألا تنسى اعطاء الأديبة السعودية أيضا حقها في هذا التكريم حيث أن جائزة الدولة هي مطمح كل مواطن ومواطنة في كل المجالات، خاصة واننا أصبحنا نحس بالأدب النسائي، اذا صح التعبير، ونشعر به على غير ما كان عليه الحال في السابق».

الشاعرة فوزية غوث

«هذا العمل يدعونا الى الفخر بأن يكرم أدباؤها وهم على قيد الحياة ففي البلاد الأخرى يكرمون أدباءهم بعد أن يرحلوا.. فالحمد لله على هذا العمل الطيب.. ورغبتي أن نرى أديبات سعوديات يكرمن عن قريب».

د. بلقيس ناصر

«اننا بهذا التكريم نقدم لمسة وفاء للوجدان الانساني في بلادنا.. وبهذا التخصيص بالجوائز المقدمة الى المبدعين والمثقفين والمثمرين من أدبائنا.. فاننا نبني قاعدة جديدة في هذا البلد لتكريم عقل الانسان».

عبدالله الحفري

«ان تكريم الأدباء يفتح الطريق أمام الأدباء من الشباب أن يثروا حياتنا الأدبية بانتاجهم، فالأمم لا تقاس بكم تملك من المال وانما تقاس بكيف تفكر وفيم تفكر».

د. عبدالله مناع

«ان هذا اللقاء يعتبر مناسبة كبيرة لاجتماع شمل الأمة العربية في مجال الفكر والأدب».

الأمير سلمان بن عبد العزيز

«هذا التقدير الذي يحظى به الأدب في بلادنا كان حلما يراود أذهان الأدباء منذ أصبحت لأدبنا ملامح أتاحت له المساهمة في انعاش الحركة الفكرية في البلاد، ثم تحقق الحلم على أيدي المخلصين من أبناء هذه البلاد».

خليل الفزيع

«لا شك أن فترة ما بعد ظهور البترول تعتبر احدى فترات الازدهار الرئيسية في حياتنا الأدبية. لقد اتخذت حياتنا الفكرية طابعا جديدا وظهر أدباء موسوعيون لهم انتاج متعدد وآثار مكتوبة من شعر ونثر ومقالة وقصة وبحث، ولا يكتفي الواحد منهم بذلك بل يتجه الى الثقافة اللغوية ثم الثقافة الاسلامية مما يدل على أن الرواد هم أقرب الناس الى الأدب الموسوعي، وتلك ظاهرة نجدها في أدبنا المحلي».

عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد

«ان تكريم هؤلاء النفر الكرام اليوم ان هو الا رمز لتكريم المعرفة الحقيقية والكلمة الصادقة والاحساس الوطني النبيل على امتداد ساحة الوطن المعطاء».

عبدالله احمد شباط

«ان اللوحات التي أهديتها للفائزين بجائزة الدولة التقديرية في الأدب هي مشاركة مني في تكريم هؤلاء الأدباء الذين شاركوا مشاركة فعالة خلال السنوات الماضية في تنمية الحركة الثقافية في بلادنا. وهي تعبير فني محض يجسد معنى كبير فحواه ان الأدب والفن يشتركان معا في العملية الابداعية».

الفنان التشكيلي: احمد عبدالله المغلوث

هاج بي الشوق فاطّرحت الكلاما
وتغنيت لهفة وهياما
وشربت الضياء من شفة الفجر
وبددت من طريقي الظلاما
وأرى الحاملين مشعل علم
يتخطون بيننا الأوهاما
يزرعون الحياة خيرا وعدلا
ويصيرون بيننا أعلاما
أيها الحاملون مشعل علم
هل بلغتم من الحياة مراما؟
روعة الفكر أن يحرك فينا
عزمات تزيدنا اقداما
روعة الفكر أن يكون حساما
المعيا يحطم الأصناما

الشاعر عبد الرحمن صالح العشماوي

محمد العبد القادر... التاريخ والشعر

بقلم: الأستاذ عبدالله شباط / الدمام

الشهر العاشر من عام ١٣٩١هـ خطفت يد المنون شيخا وعلما بارزا من أعلام هذه المنطقة.. هو الشيخ محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن العبد القادر الأحسائي رحمه الله فترك فراغا لا يملأ بعده وملأ قلوب محبيه ألما وحسرة لفقده.

ولقد كان رحمه الله فذا بين الرجال.. جمع بين التقى والعلم وبين كرم الطباع ومكارم الأخلاق. كما جمع بين البشاشة والأدب وبين المعرفة والتواضع.

ولد رحمه الله سنة ١٣١٠هـ وتلقى العلم وهو صغير السن عن والده وابن عمه الشيخ عبدالله بن علي وابن عمه الشيخ عبد الرحمن بن صالح.. والشيخ صالح السعد رحمهم الله جميعا.. وقد انصرف في شبابه الى طلب العلم والانكباب على المطالعة وكان له شغف بجميع الكتب أيا كان نوعها.. وقد سافر في سبيل ذلك الى الحجاز ولبنان ومصر عدة سفرات حتى نبغ في العلوم الشرعية والعربية والتاريخ والعروض.

وفي عام ١٣٤٣هـ جمع بين مهمة جامع فيصل بالمبرز وبين القضاء والتدريس في المدرستين: الشرقية وتسمى مدرسة الخضر والشمالية وتسمى مدرسة العثمان.. وممن استمع الى أحاديثه وأخذ عنه ابن أخيه الأستاذ ابراهيم العبد.. وكاتب هذه السطور وعدد لا تحصرني أسماؤهم.

وفي عام ١٣٨٠هـ أحيل على التقاعد ولم يعد في امكانه مواصلة التدريس والخطابة في الجامع فأوكل أمر الخطابة الى ابن أخيه الأستاذ ابراهيم.. واتخذ له مجلسا يوميا يزوره فيه طلاب أحاديثه ودروسه.. فكان في هذه المجالس لا يجد غضاضة في الاجابة عن أي سؤال مهما كان نصيب السائل من العلم. بالاضافة الى النكتة والطرفة وأبيات الشعر التي تتخلل أحاديثه فتضفي عليها طلاوة وتشد السامع اليها.. وله محاولات شعرية منها قوله عندما افتتحت المدرسة الابتدائية بالمبرز عام ١٩٦٠هـ.

لسان الشعب يصدح بالتهاني
ونور الأنس أشرق في المغاني
وأعلنت البشائر في سرور
على ما تم من نيل الأماني
بمدرسة زهت في أرض هجر
تفوق بحسنها كل المباني
فلبوا دعوة الداعي اليها
وحلوا عنكم قيد التواني
فان العلم أفضل كل شيء
ويهديكم الى سبل الجنان
فذو العرفان لو يفنى فحي
ورب الجهل لو يحي ففان
به تتلاعب الأعداء جهرا
وتشغله بأغلال الهوان
فصوغوا بالعلوم لكم سلاحا
فسيف العلم يقطع كاليماني
وهبوا بالدعاء سرا وجهرا
باخلاص الجوارح والجنان
بعز مليكنا عبد العزيز ابن السعود
المرتضى في كل آن
حمى الاسلام من كيد الأعادي
ومد لأهله ظل الأمان
وقد فتح المدارس للرعايا
لها ثمر لباغي الخير داني
فأبقاه المهيمن في هناء
وأعلى شأنه عن كل شان
وان اميرنا السامي سعودا
جليل القدر موهوب السنان
له الاحسان في الاحساء طرا
يربيها بعاطفة الحنان
فلا برحت بهم تزهو وتسمو
بعز ما أضاء النيّران

وقال محطا الشيخ ابن مانع يشكره على النهوض بالتعليم بعد فتح تلك المدرسة المشار اليه ويذكر ماضي الاحساء:

بزوالك نرتاح القلوب وتطرب
وكل امرىء يولي الجميل محبب
فحبتك أبناء البلاد بأسرها
وتنشد أشعار المديح وتخطب
نهضت بأعباء المعارف والعلا
ونلت من التوفيق ما كنت ترغب
وأوليت هذا القطر منك رعاية
تحقق آمالا له وتقرب
فتحت بأفضال المليك مدارسا
تزيل ظلام الجهل عنا وتذهب
فأصبح ناشينا فقيها مثقفا
يعبر عما في الفؤاد ويعرب
لقد علم الأقوام أن حمى الحسا
قديما بأنواع المعارف مخصب
وبالعلم والآداب تزهو ربوعه
يسر قلوب الوافدين ويعجب
فجدد لنا تلك العهود كعهد
يعود به ذاك الزمان المذهب

ومن صوره الشعرية لمنتزة بعين النهر وقد اصطفت على حافتيه أشجار النخيل:

كأن جموع النخل في عرصاتها
صفوف عذارى جملتها الغلائل
اذا روحت ريح الشمال رؤوسها
تميل كما مال المحب المواصل
فياحبذا برد النسيم بظلها
وياحبذا ذاك التقا والمنازل
بأجمعها يجلي الهموم ويجتني
ثمار الهنا والأنس والكل حاصل
باخوان صدق زينوا كل محفل
لها مهمو الا سميّ وفاضل

وقال يصف ماء سبعة وهي احدى لعيون الفوارة بالاحساء تتفرع في سبعة أنهر تقع على بعد ٣ كيلومترات شمال المبرز، وقد أقام أهالي المبرز حفلة استقبال لجلالة الملك الراحل سعود بن عبد العزيز عام ١٣٨٠هـ:

كأنه واصفرار الشمس يصبغه
خدود غيد علاها الورس والخفر
آل السعود على حافاته نزلوا
سعود بدر تليه الأنجم الزهر
هم الألىٰ تشرق الدنيا ببهجتهم
وينزل النصر عند الباس والظفر

ومن لطائفه رحمه الله أن الشيخ عبدالعزيز بن عبداللطيف المبارك رحمه الله زاره فلم يجده.. وكان في زيارة بعض أقاربه بالعيوني فكتب له الشيخ عبدالعزيز بيتاً مطلعه:

وميض البرق من غرب العيوني
أفاض الدمع من غرب العيون

فأجابه بأبيات منها:

سلام صيغ من سحر العيون
يسلي روعة القلب الحزين
يحاكي نسمة الاصباح طيبا
وعتب أخي المودة والشجون

وكانت علاقته بالشيخ محمد بن مانع مدير المعارف آنذاك علاقة مودة وصداقة وثيقة الجذور.. إذ كل منهما يقدر الثاني ويعرف فضله. وعندما غادر الشيخ بن مانع الأحساء بعد طول عشرة إلى الرياض.. خرج الشيخ محمد يودعه.. فودعه بهذه القصيدة:

هبوا لي صبرا قبل يوم التفرق
يخفف ما بي من عظيم التشوق
فلست بسال عن هواهم وان سلى
المغرب يوما عن حبيب مشرق
وكيف سلوى عن لطيف شمائل
لصاحبها الشهم التقى الموفق
محمد المعطي المنى وابن مانع
لأهل الردى عن غيهم والمعوق
فمحقق فقه الحنبلي بوقته
فأكرم به من حافظ ومحقق

وعندما طلب حاكم قطر الشيخ علي عبدالله بن ثاني من جلالة الملك سعود رحمهما الله أن يعيره خدمات الشيخ ابن مانع سنة ١٣٧٧هـ كتب به الشيخ محمد العبد القادر هذه الأبيات مهنئاً قطر بما فازت به.

سقى قطرا قطر السماء وعلها
فقد جاءها الحبر الكريم وحلها
تبدى بها الشيخ الامام بن مانع
حوى من صفات الأكرمين أجلها
أضاءت به أرجاؤها وتزخرفت
فهل لبلاد أن تسامى محلها
هو العالم النحرير في فقه أحمد
اذا ما تصدى للمشاكل حلها
روى سنة الهادي النبي محمد
وروى قلوب الطالبين وبلها
توازه في الحق حاكم صقعها
علي بن عبدالله وأم حمى لها
أهنى عليا والبلاد بأسرها
على نخفة جاءهم ما أجلها
عليكم سلامي ما زهى روض فضلكم
وروى العها زهر الربى وأطلها

ومن مطبوعاته: «مختارات آل عبد القادر» وهي مختارات شعرية لمشاهير الشعراء وبعض شعراء آل عبد القادر.. و«تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد» وهو في مجلدين الأول في التاريخ وهو مرجع تاريخي عن الأحساء منذ فجر التاريخ حتى الوقت الحاضر والثاني في الأدب وقد جمع فيه العدد لا بأس به من شعراء الأحساء من التراجم والمختارات الشعرية مما يجعله من خيرة المراجع التي تفيد الباحثين وتنير السبيل أمام الدارسين.

كما أن له بعض الآثار التي لم تطبع منها ديوان الشيخ عبدالله بن علي العبد القادر، وبعض الرسائل والتوجيهات الدينية

غـــذاء للمســتقبل مـــن البــترولـــ

بقلم: الدكتور حسين العروسي / جامعة الملك فيصل

في شهر ذي القعدة لعام ١٣٩٧هـ، الموافق لأكتوبر ١٩٧٧م، شرّف جلالة المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز حفل افتتاح بدء العمل بمشروع الجبيل الصناعي. وقد تشتمل المشروع على صناعة أساسية تقع تحت الصناعات البترولية. وتدخل ضمن الصناعات الغذائية. وتعتبر كذلك صناعة تطبيقية لعلم الكائنات الدقيقة Microbiology. كما شمل المخطط العام لمشروع الجبيل الصناعي مصنع «البتروبروتين- Petroprotein». الذي سوف يقوم بانتاج مسحوق البتروبروتين. ولعل صناعة البتروكيميائيات قد طغت في مفهومها والتي تعددت مصانعها في المخطط على مصنع البتروبروتين.

بعد ذلك لم أسمع عن دراسات أو خطط تتصل بمجال صناعة البروتين من البترول. ولعل الارتفاع الشديد في أسعاره وارتفاع الطلب عليه كان من أسباب ارجاء التفكير في صناعة ما يمكن أن يطلق عليه «البروتين البترولي». ولكن الوقت قد حان لاعادة الدراسة والعودة الى المخطط بالنسبة لهذه الصناعة بالذات من أجل أمن غذائي نحن في أمس الحاجة اليه لا سيما وأن تعداد سكان كوكب الأرض في تزايد مطرد.

من المعروف أن البترول هو ناتج تحول جيولوجي لأحياء عاشت في أحقاب سحيقة مضت. تم طمرت وضغطت. وحدث لها تحول اختزالي شديد. تحولت بعدها الى مادة عضوية أساسها الكربون وعنصرا الماء. (الأوكسجين والهيدروجين). الى مادة عضوية أساسها الكربون والهيدروجين فقط.

وفكرة انتاج الغذاء من البترول هي فكرة اعادة الحياة الى البترول بطريق غير مباشر. وذلك باستخدامه كغذاء لكائنات دقيقة تقوم بتحويل مواد البترول وخاصة ما بها من عنصر الكربون الى مادة عضوية حية تدخل في تركيب جسم الكائن الحي. والكربون بوجه عام، يمثل العنصر الأساي الذي يميز الكائنات الحية. وهو يكوّن حوالي ٥٠ في المائة من مادته الحية. يليه عنصر الآزوت الذي يمثل نسبة تتراوح ما بين ٣ و ١٥ في المائة من المادة الحية.

والبترول في مجال صناعة البتروبروتين ليس الا أحد مكونات وسط غذائي أو بيئة غذائية تشتمل بجانب البترول، على مكونات أخرى. بحيث تتلاءم مع نمو الكائنات التي لا تستطيع تثبيت الكربون أو الاستفادة من غاز ثاني أوكسيد الكربون الجوي. أي أن هذه البيئة تتلاءم مع نمو الكائنات التي لا يدخل الكلوروفيل في تكوينها.

وفكرة استخدام البترول في تنمية الكائنات الدقيقة هي جزء من فكرة عامة نشأت عن محاولات لتنمية كائنات دقيقة فطرية أو بكتيرية على مخلفات عضوية معظمها نباتية الأصل مثل «المولاس» و «السليلوز» كمصادر لعنصر الكربون اللازم لتغدية ونمو الكائن الدقيق. أو تنمية طحالب على محاليل غذائية خالية من المادة العضوية. تم استخدام الكائنات الدقيقة النامية سواء كانت فطرية أو بكتيرية أو طحلبية كغذاء غني في البروتين. ونظرا لأن معظم هذه الكائنات الدقيقة وحيدة الخلية فقد أطلق على هذا المنتج بوجه عام «بروتين الخلية الواحدة Single Cell Protein». ولهـــذا يمكـــن القول بأن «البتروبروتين» هو أحد أنواع بروتين الخلية الواحدة.

إن التغذية بالكائنات الدقيقة ليست عملية جديدة على الانسان. فقد بدأت قبل معرفة تلك الكائنات بآلاف السنين. فصناعات التخمير المختلفة كصناعة الخبز وكثير من الفطائر والعجائن والألبان المخمرة وبعض

أنواع الجبن مثل «الجبن الركفورد»، تحتوي مع مكوناتها الأساسية على كائنات مجهرية حية تتغذى عليها ونستطعمها، فهي تعطي للطعام نكهة مميزة ومذاقا خاصا. فالخبز الذي نأكله يحتوي على نسبة تتراوح بين ١ و ٤ في المائة من وزن الدقيق المستعمل على فطر الخميرة. والألبان المتخمرة مثل اللبن الزبادي تحتوي على أعداد كبيرة من البكتيريا المنتجة لحمض اللاكتيك يتراوح عددها بين عشرة ملايين وعشرة بلايين خلية بكتيرية حية لكل جرام واحد من اللبن المتخمر.

ومع أوائل القرن الحالي بدأ التفكير في زراعة الكائنات الدقيقة للاستخدام المباشر كغذاء. فقد استخدم الألمان، أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨)، خميرة الخبز المعروفة علميا باسم «سكاروميسز سرفيسيا — Saccharomyces Cerevisiae»، المنماة على المولاس وأملاح النشادر كغذاء للانسان، كما استخدموا الخميرة «كانديدا يوتيليس Candida utilis» خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) للغرض نفسه.

ان الزيادة الكبيرة في تعداد السكان خلال الثلاثين عاما الماضية وما تبعها من نقص شديد في الغذاء الى جانب ظهور أمراض ناتجة عن سوء التغذية وخاصة المتسببة عن نقص البروتين. كل هذه العوامل مجتمعة قد شجعت على البحث عن مصادر جديدة للغذاء وخاصة البروتين منه بديلا عن البروتينات الحيوانية والنباتية التقليدية. ولهذا الغرض، تشكلت في سنة ١٩٥٥ المجموعة الاستشارية للبروتين التي رمز اليها بـ (PAG) لمساعدة منظمتي الصحة الدولية (WHO) والأغذية والزراعة (FAO). وقد اهتمت المجموعة أولا بالبروتين الناشيء عن اللبن الفرز ودقيق فول الصويا. ومن ثم بالبروتين الميكروبي، أي بروتين الخلية الواحدة. وقد حفزهم على ذلك ماثبت من أن انتاج البروتين الميكروبي يزيد كثيرا على انتاج الأنواع الأخرى من البروتين، فكيلو جرام واحد من البقر ينتج يوميا جراما واحدا من البروتين. بينما كيلو جرام واحد من فول الصويا ينتج عشرة جرامات من البروتين.. في حين أن كيلو جراما واحدا من فطر الخميرة ينتج مائة

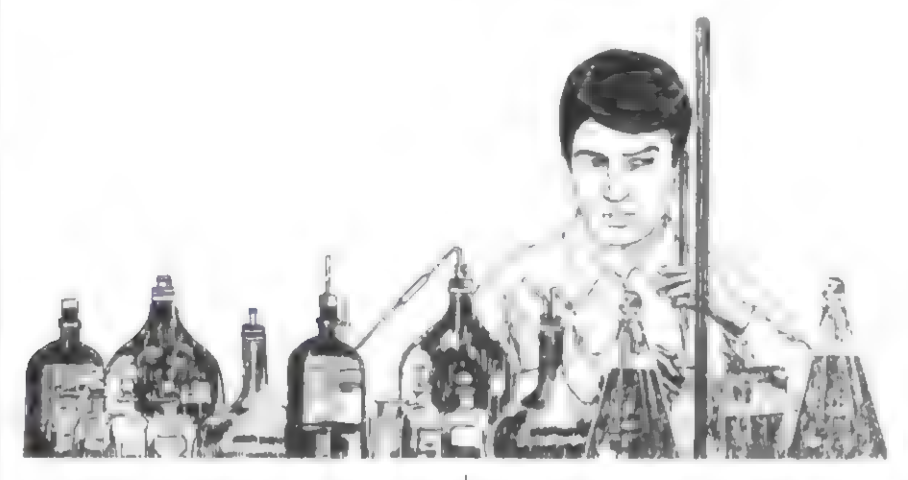

كيلو جرام من البروتين يوميا.. أما في حالة البكتيريا فان الانتاج يزيد كثيرا على هذه المعدلات اذ يصل تحت الظروف المثالية الى أكثر من مليون كيلو جرام من كل كيلو جرام واحد. وترجع الزيادة الكبيرة في حالة الكائنات الدقيقة الى سرعة تكاثرها، حيث يتم الجيل في الخميرة في معدل ساعتين وفي البكتيريا في أقل من ساعة.

بدايات

المحاولة الأولى لانتاج بروتين تجاري من البترول في نهاية الخمسينيات للقرن الحالي، وذلك بتنمية كائنات دقيقة على هيدروكاربونات بالفرع الفرنسي لشركة البترول البريطانية — BP. والانتاج الحالي يتم أساسا لتغذية الدواجن والماشية. وقد قطعت الدراسة في هذا المجال شوطا كبيرا وأصبح هناك بلاد منتجة للبروتين من البترول وأخرى مستهلكة له. في فرنسا ينتج مصنع «لافيرا — Lavera» عشرين الف طن سنويا، وفي اسكتلندا ينتج مصنع جرانجموث — Grangmouth أربعة آلاف طن سنويا، وهذان المصنعان يتبعان لشركة البترول البريطانية ويُسوَّق انتاجها من البروتين باسم — Toprina. كما تنتج شركة «ايتالوبروتين — Italoprotein» مائة الف طن سنويا من البتروبروتين. ومن الدول الأخرى التي تقوم بانتاج البروتين المنتج من البترول وتسويقه، اليابان والولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفييتي.

ومن المواضيع الهامة التي تشغل أذهان الباحثين في هذا المجال، استخدام البتروبروتين في تغطية النقص في احتياجات الانسان من البروتين. وقد اتضح من الدراسات التي أجراها جونسين — Johnsen عام ١٩٦٧م أنه من الممكن استخدام ما بين ١٥ و ٢٠ في المائة من انتاج البترول العالمي في ذلك الوقت لتغطية احتياجات سكان العالم من البروتين وقتذاك.. فالموضوع ليس بهذه البساطة كما يتصور الكثيرون، والدراسات التي تجرى حاليا لمعرفة مدى صلاحية البروتين المنتج من البترول لتغذية الانسان مازالت مستمرة.. اذ ان هناك من الأسباب والدواعي ما يدعو الى استمرارية هذه الدراسات حتى يتسنى للعلماء انتاج البروتين الملائم للانسان

نظرات بيانية في الاعجاز للامام السيوطي

بقلم: د. عبدالفتاح محمد سلامة / المدينة المنورة

السيوطي [١] عالم من علماء المسلمين الماجدين، برز في مجالات كثيرة لخدمة الدين والثقافة الاسلامية... ولقد تحدث الرجل عن قضية الاعجاز، وأشار الى أن هناك علماء كثيرين، خاضوا في هذا الشأن، منهم الخطابي والرماني والباقلاني وعبد القاهر... ثم حلق في آفاق المعجزة مقسما لها الى حسية وعقلية، مبينا أن معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم..

وقال عن معجزات أمة محمد ﷺ: انها كانت عقلية، لفرط ذكائهم، وكمال أفهامهم، ولبقاء شريعتهم الاسلامية على صفحات الدهر الى يوم القيامة...

وعلق السيوطي على قول رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله اليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».. [٢]

فقال: «ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبات... ثم يضيف قائلا: ان المعجزات الحسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح، وعصا موسى عليهما السلام.. أما معجزة القرآن فانها تدرك بالبصائر، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر، لأن الذي يشاهد بعين الرأس: ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق، يشاهده كل من يجيء على تتابع الأيام وتوالي الأعوام [٣].

ثم يعرض السيوطي بعد ذلك لآيات التحدي، فيذكرها في ترتيب ونظام.. ثم يسوق كلام الجاحظ عن تحدي القرآن للعرب: «بعث الله نبيه محمدا، أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة.. فدعا أقصاها وأدناها الى توحيد الله تعالى، فما منعهم من ذلك الا الهوى والحمية، ولم يستطيعوا الاتيان بمثل أقصر سورة قرآنية، ولو افتروا مهانيها من عندهم..

واذا كان الأمر كذلك: فلو كان في مقدورهم مواجهته، ما اجتمعوا على الهرب أمام هذا التحدي القرآني من ثلاثة وعشرين

عاما، وهم أشد الناس حمية والكلام سيد عملهم..»[٤].

على أن كتاب الله لو نزعت منه لفظة، ثم أجهد العرب لسانهم على لفظة أجود منها ما استطاعوا..

ولقد تتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب، يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة...

وأبان السيوطي عن تفوق القرآن على جميع أنواع الكلام: فقال: «والقرآن جامع لمحاسن الجميع، على نظم غير نظم شيء منها، بدليل أنه لا يطلق عليه اسم رسالة، أو خطابة أو شعر أو سجع... وان كان السجع موجودا فيه..[٥]..

السيوطي ينقل عن علماء سابقين

والسيوطي هذا العالم الفذ الواسع الثقافة، يأتي في كتابه «الاتقان» بنقول متنوعة، عن مفكرين سبقوه في هذا المضمار: فهو ينقل عن السكاكي قوله في «مفتاح العلوم»: اعلم أن اعجاز القرآن يدرك، ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن، تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة تدرك ولا توصف..

ويقول السكاكي: ولا يدرك تحصيله (الاعجاز) لغير ذوي الفطر السليمة، الا باتقان علمَيْ المعاني والبيان، والتمرين فيهما..»[٦].

وينقل السيوطي عن الزركشي قوله: ان القرآن لم يزل، ولا يزال غضا طريا، في أسماع السامعين وعلى ألسنة القائلين..

ونقل ما ذكره القاضي في كتابه «الشفا»: من أن القرآن معجز بوجوه أربعة: حسن تأليفه، ونظمه العجيب المختلف تماما عن غيره، وأخباره بالمغيبات التي وجدت فيما بعد، والمغيبات السابقة من أخبار القرون الأولى... الى غير ذلك من حسن وقعه في النفوس..

ورجح السيوطي: القول بعدم تفاوت القرآن في بلاغته، وأشار الى أن بعض الناس أدق احساسا بالاعجاز من البعض الآخر، وأشار —رحمه الله— الى أن الآية التي تقول: «**قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن..**».. اقتصرت على الانس والجن دون الملائكة: لأنه صلوات الله وسلامه عليه: مبعوث اليهما دون الملائكة.

السيوطي ونفي الشعر عن القرآن

يقول الامام السيوطي: ان الشعراء يمدحون الشيء ويذمونه، فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونها، وتارة يمدحون الجبن ويسمونه حزما، وتارة يذمونه ويسمونه ضعفا، واذا مدحوا الشجاعة سموها صرامة، واذا ذموها سموها تهورا، وهكذا، والشاعر تسعفه فصاحته عند انبساط طبعه. وتنغلق أمامه المعاني عند الانقباض، وقد كان النبي ﷺ يتكلم بالقرآن ثلاثة وعشرين عاما، فما اختلفت أحواله...

قال تعالى: **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا...» النساء/٨٢.** ويقول السيوطي: ومفردات القرآن منتقاة، بطريق يتعذر مثله على البشر، في أكثر الأحوال... فأنت ترى أن قوله تعالى: «**وجنى الجنتين**..» أفضل من قولك: وثمر الجنتين.. وقوله «**وما كنت تتلو**..» .. أفضل من قولك: وما كنت تقرأ.. وقوله: «**لا ريب فيه**..» ..أحسن من قولك: لا شك فيه... وقوله «**ولا تهنوا**..» ..أحسن من قولك: ولا تضعفوا.. وقوله: «**وآتي**».. أخف من قولك: وأعطى... وقوله. «**وأنذر**».. أخف من: وخوف... وقوله: «**خير لكم**» أخف من قولك: أفضل لكم..». الى غير ذلك من أمثلة تشهد للامام السيوطي بتضلعه في اللغة، وتمكنه من ناصيتها..{ }

المراجع

١ ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، كان عالما لغويا محدثا. ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفي سنة ٩١١هـ.

٢ ـ رواه البخاري...

٣ ـ الاتقان في علوم القرآن جـ٢/ص١١٦. ط. الحلبي.

٤ ـ المصدر السابق جـ٢/ص١١٨

٥ ـ التبيان في علوم القرآن ـ ص٨٥ ـ محمد علي الصابوني. ط. بيروت.

٦ ـ الاتقان في علوم القرآن جـ٢/ص/١٢٠.

الشخصية المحورية في الرواية السعودية المعاصرة

بقلم: الاستاذ عبدالرحمن شلش / الرياض

تعد رواية «زينب» للدكتور محمد حسين هيكل بداية الأعمال الروائية التي يؤرخ بها للفن الروائي في الأدب العربي الحديث. وقد ظهرت عام ١٩١٤م، وان سبقتها أعمال أخرى، لكنها كانت مجرد محاولات أو ارهاصات لميلاد هذا الفن في أدبنا.

وترجع نشأة الرواية السعودية بوصفها رافدا من روافد هذا الفن في الأدب العربي، الى عام ١٩٣٠م الذي ظهرت فيه رواية «التوأمان» لعبد القدوس الأنصاري. ومن الروايات التي ظهرت بعد ذلك: «فكرة» لأحمد السباعي و«البعث» لمحمد علي مغربي و«ثمن التضحية» و«وموت الأيام» لحامد دمنهوري و «ثقب في رداء الليل» و «سفينة الموتى» و «عذراء المنفى» لابراهيم الناصر و «غدا سيكون الخميس» لهدى الرشيد و «اليد السفلى» و«فتاة من حائل» للدكتور محمد عبده يماني و«الدوامة» للدكتورعصام خوقير و «لا ظل تحت الجبل» لفؤاد عنقاوي و «غداً أنسى» للدكتورة أمل شطا، وغير ذلك من أعمال روائية.

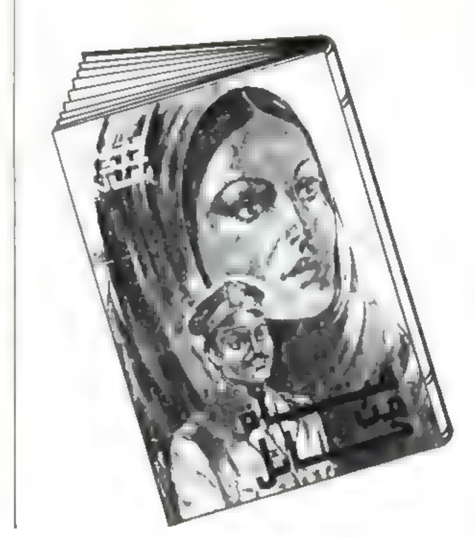

ويمكن أن يؤرخ للرواية السعودية برواية «ثمن التضحية» التي ظهرت عام ١٩٥٩م، اذ تماثل مكانتها مكانة رواية «زينب» في الأدب العربي كما أشار الى ذلك الدكتور منصور الحازمي.

هذه مقدمة سريعة قصدت أن تأتي تمهيداً لهذه الدراسة حول الشخصية المحورية في الرواية السعودية المعاصرة. وسأتناول في هذه الدراسة نماذج روائية محددة للتعرف الى كيفية رسم الكتّاب للشخصية المحورية التي يبرز دورها في أحداث العمل الروائي، مؤثرة فيها، وغير منفصلة عن سواها من الشخصيات الأخرى، بالاضافة الى التركيز على الاتجاه الفني الذي أتبعه الكتاب في تصويرهم لهذه الشخصية.

ملامح الشخصية المحورية

اخترت ثلاث روايات لتكون محورا لهذه الدراسة وهي: «ثمن التضحية» و «غدا سيكون الخميس» و «لا ظل تحت الجبل». ومرد اختياري لها الى كونها — في رأيي — من أنضج الأعمال الروائية المحلية وأجودها. فكيف قدّم الروائيون الشخصية المحورية في كل منها؟

في رواية «ثمن التضحية» نجد الشخصية المحورية تتمثل في «أحمد» الشاب الحالم الذي أوشك على الانتهاء من دراسته في المرحلة الثانوية متطلعا الى دراسة الطب في الخارج، فيوافق والده بشرط أن يعقد قرانه على ابنة عمه «فاطمة» وأن يكون الزواج بعد تخرجه. ويقبل الشاب طائعا، لكنه كان في أعماقه يريد تأجيل هذا الارتباط الى وقت لاحق حين يصبح عمره مناسبا. وأخذت رغبته في استكمال دراسته الجامعية تنافس عاطفته نحو ابنة عمه.

وواجه هذا الشاب كثيرا من الصراعات النفسية: «اني في مقتبل العمر و «فاطمة» لم

تزل في الرابعة عشرة من عمرها، وكلانا لم يتجاوز سن التجارب، ولو أضيفت الأعوام القليلة القادمة الى الأعوام الطويلة التي قضيتها في الدراسة لم أخسر شيئا من مستقبلي الذي تخيلته، وشيدته في أحلامي، بل ان هذا المستقبل الذي عشت فيه حلما سوف يصبح أكثر ضمانا. سوف اكتسب على وجه اليقين تجارب جديدة من الوعي، وأكون حينذاك قد شارفت السادسة والعشرين، سن الزواج السعيد».

وعندما تعرّف «أحمد» على «فائزة» شقيقة أحد أصدقائه في الخارج، يفلسف الكاتب على لسان هذا الشاب مغزى التضحية وثمنها: «سوف أضحي بحبي الجديد .. هذا الذي أحسست به قويا طاهرا، سرى في وجداني، على غفلة مني، وتسرب في حنايا القلب على مهل، دون أن أدرك قوته الا بعد تمكنه مني، ولا شك أني سأتقاضى ثمن هذه التضحية مضاعفا، هناك الثمن، ابنة عمي، تلك التي تنتظرني من وراء نافذتها المغلقة، انها ثمن التضحية».

ولجأ الكاتب في رسمه لهذه الشخصية المحورية الى تكتيك تيار الوعي الذي استخدمه كي يطلق العنان أمام أفكار الشاب ومشاعره وهمومه، لتتدفق عبر منطلقات صوت الأعماق، فامتزجت تارة بالحوار، وتارة بالأحداث. ويكشف هذا الاتجاه التحليلي حقيقة الصراع داخل الشخصية موضحا سلوكها وعلاقاتها بالآخرين من الأهل والأصدقاء.

لكن اذا ما نظرنا الى الشخصيتين اللتين تمثلان الطرف المقابل لشخصية الشاب في الصراع، وهما «فاطمة» و «فائزة»، فنجد الكاتب لم يرسمها بكثير من العناية التي صور بها شخصية «أحمد» على ما فيها من سلبية واضطراب.

وفي رواية «غدا سيكون الخميس» نواجه بالشخصية المحورية ممثلة في «نوال» الفتاة التي تلقت دراستها في الخارج، وتعمل محررة في احدى المجلات، وتبدو متميزة بالجمال والذكاء والتفلسف.

كانت هذه الفتاة محرومة من الأب الذي توفي، فعاشت مع أمها، ولم ترغب الأم في الزواج، حتى لا تزعج ابنتها.

وواجهت «نوال» قلقا وحيرة. وكانت رافضة لفكرة الزواج، ووجدت السلوى في عملها، وفي صداقتها لبعض الصديقات: «لمياء» و «سميرة» و «نبيلة» و «حصة». وعرّفتها «لمياء» بقريب لها يدعى «أحمد» فبدأت العلاقة بينهما عادية، ثم تحولت — فجأة — الى عاطفة، فتحابا باحساس صادق واع لتقارب وجهات نظرهما وأفكارهما.

على أن هذه الفتاة سرعان مالمست تغير الشاب بعد وصول شقيقتيه لزيارته، ثم اكتشفت خداعه وزيف مشاعره نحوها. ورفضت في النهاية هذا الشاب الذي جاءها معتذرا عما بدر من سوء تصرف تجاهها: «مادمت أعطيتك الأعذار سأعطيها لنفسي أيضا مؤملة في الغد .. أجل سيدخر لي الغد يوما جديدا لأهتدي فيه عما أبحث، وحسب عاداتنا التي أحبها .. سوف يكون يوم خميس.

وكان «أحمد» الذي يمثل الشخصية المحورية المقابلة في الصراع، عائدا من أمريكا بعد حصوله على دكتوراه في العلاقات العامة.

ومع أنه عاش سنوات عديدة في الخارج، الا أنه لم يتأثر بالغرب، فهو على حد تعبيره: «مازال بدويا كما كان».

أعجب هذا الشاب في البداية بشخصية «نوال»، لكنه بعد فترة ظهر مترددا، فتملكه رفض مباغت لنفسه أولا، ثم لها ثانيا. وبدا ضعيف الشخصية الى حد كبير.

وفي رواية « لا ظل تحت الجبل» نجد كثيرا من الشخصيات الممثلة لأكثر من جيل، وتعكس صورة من صور الصراع بين ما يسمى بالقديم والجديد. وترمز شخصيات مثل : «الأب» و «الأم» و «زوجة الأب» الى الجيل القديم، فيما ترمز شخصيات مثل : «خالد» و«سعد» و«عزة» الى الجيل الجديد.

وها هي «عزة» التي أحبها «خالد» لكن أهلها يزوجونها بآخر، تتساءل حين استقبلت العيد وكان قلبها مجروحا: «أهذا هو العيد !.. العيد الذي يفرح به كل مخلوق» (٦).

ويعبر «خالد» عما يعانيه من عذاب بعد أن سافر لدراسة الطب في الخارج لكنه انحرف وعاد دون أن يتم تعليمه: «أني أتعذب .. أتعذب .. رحماك ربي» (٧).

ويأتي هذا العمل الروائي معتمدا على أسلوب تصوير الشخصيات من الخارج، فضلا عن تصويره للبيئة المحلية التي دارت فيها معظم الأحداث، وان بدا هذا الاتجاه غالبا على تقديم الشخصية من الداخل كما ظهر في بعض المواضع.

مقارنة سريعة

يمكن أن نعقد هنا مقارنة سريعة بين الشخصيات المحورية في الروايات المختارة من خلال الاتجاه الفني الذي اتبعه الكتّاب لإظهار جوانب القوة والضعف في كل منها.

كان اهتمام الكتّاب واضحا في استخدام تكتيك تيار الوعي لتصوير الشخصية من الداخل كشفا عما يدور في أعماقها من صراع وهواجس. وظهر هذا بكثرة وإجادة لتحديد أبعاد شخصية «أحمد» في «ثمن التضحية»، وان لم يعمق بالنسبة للشخصيتين المقابلتين: «فاطمة» و «فائزة». واستخدم بصورة أقل لم تبلور البعد النفسي في شخصية «خالد» في «لا ظل تحت الجبل»، و «نوال» و «أحمد» في «غدا سيكون الخميس».

وجاء بعض الشخصيات المحورية طاغيا على الشخصيات المقابلة لها كشخصية «أحمد» التي اهتم الكاتب برسمها أكثر من اهتمامه برسم شخصيتي «فاطمة» و «فائزة» في «ثمن التضحية». وكذلك شخصية «نوال» التي بدت شخصية قوية تواجه شخصية ضعيفة هي شخصية «أحمد» فظهرا غير متكافئتين فنيا عند رسمها في «غدا سيكون الخميس». فيما ظهرت شخصيات: «الأب» و«زوجة الأب» و«خالد» و«عزة» مصورة من الخارج بعناية وتكافؤ في «لا ظل تحت الجبل».

وأطل بعض الكتّاب من وراء شخصيات لهم كما في شخصية «أحمد» الذي بدا مرددا آراء للكاتب في «ثمن التضحية». وشخصية «نوال» التي ظهرت وكأنها تعكس أفكار الكاتبة في «غدا سيكون الخميس». واختفى صوت الكاتب في «لا ظل تحت الجبل». ويؤخذ على الكاتب ظهوره وراء شخصية ما في عمله الأدبي، ويظل مطالبا بتقديم الشخصية كما هي دون أن يحاول أن يفرض أفكاره عليها.

وتشابهت شخصيات في بعض أفكارها وتصرفاتها، فشخصية «خالد» في رواية «لا ظل تحت الجبل» تشبه الى حد ما شخصية «أحمد» في رواية «ثمن التضحية»، كما تتشابه الى حد ما شخصية «عزة» مع شخصية «فاطمة» في الروايتين، وان بدت شخصية «نوال» في رواية «غدا سيكون الخميس» مختلفة عنهما الى حد كبير.

وبدا رسم غالبية الشخصيات معبرا عن الشخصية السعودية، ومستلها من البيئة المحلية، ولكن هذا لم يتحقق في رسم شخصية «نوال» في رواية «غدا سيكون الخميس» التي ظهرت وكأنها تعبر عن بيئة غير بيئة الكاتبة.

هذه — في رأيي — أبرز ملامح الشخصية المحورية في الرواية السعودية المعاصرة التي تناولتها من خلال ثلاثة نماذج روائية، رصدا وتحليلا ومقارنة. وان تحققت هذه الملامح في كثير من الروايات المحلية التي لم أتوقف عندها، ولعل تناولها يتاح لي في دراسات أخرى في المستقبل ان شاء الله.

شعر: أحمد محمد المعتوق / فيلادلفيا

ولن أقول ها هنا تحط غيمةٌ
ويحلم الصباحْ
كأنه بساحة أريجها يذوب قطرة فقطرةً
بكف شهرزادْ
ولن أقول: دربنا توضأت خطاه
وساحر ببابه يكور الدخان كيف شاءْ
ويحرق البخور قائلا:
أهذه جنينة تحرقُ انتظارْ
صبية كهمسة الندى
وحقل بيلسان
كجمرة الشروق قرطها كدمعة الغروب
وفارس حسا الهوى
وعب من حنينه وما ارتوى
الى متى يسير حاملا سنينه براحة المساءْ

* * *

سلي عيون نهرك الصغيرِ
سلي شفاه نبتة ضحوكة بضفة الغدير
وزنبق الضحى قبيل غفوة الأصيل
أو اسألي نجيمة تطل من وراء أفقنا
أمر من هنا؟!
زويرق مجدافه كرفة السنى!
وخفقة العبير حي تعبر السياج شرفة القمرْ
كأنني أرى
براعما عيونها تمد في اشتهاءْ
لتعصر الضياءْ
وتشهق النخيل تبسط الذراعْ
يشير من هناك رأس كرمةٍ
يقول باختصار:
هبيه مر من هنا
ولحنّ الصباح ثم غاب
ولم يعد فبعد شمسه تغطُ في انتظار
هبيه مر من هنا
وموسق الجداول انتشاء
وراح لم يعد وموجة الشواطىء انتظار

* * *

نجيمة تطلُ: من متى وأنت ها هنا
تفتش الزمان خطوة فخطوة
وترقب النهار؟
يا ويحها نجيمة!!
تبحبح الحروف والظلال
بغمرة تهدهد التلال
وتنتشي يداعب النسيم طرفها
وثم يضحكان!
وهمسة كنغمة تذوب في السلال
وصوتها يرن في دمي
يئزُ. يمتطي حشاشتي
وجذوة فشعلة توهج الطريق
ويرجع الصدى:
أقول: لن يمر من هنا
تعطشت شواطىء الخريف والدروب
واذرع الجداول ارتمت كزفرة تذوب
ولن يمر من هنا وصرخة تلوب
نشيجها كجملة تئن ألف عام
تسمر الليالي خطوه
يشده لثلجه الشتاء
وتنشر السنين ألف عام
تمردي كزمهرير شاطئيك
لن أقول ها هنا تحط غيمة ويحلم الصباح
وعتمة الجدار!!
تُرى تشق من عباب عتمة الجدار!
وتعتلي كشهوة خضراء
خلفها مدينة كريشة النهار
وسلة من النجوم فوق رأسها
وصدرها غلالة من الرحيق تفرش الوعود
جدائل من الحرير أو قصيدة ترف
دافىء جناحها كمرفأ بعيد

* * *

ونظرة تكوكب السماء
تطل؟! أي تطل
ها هنا سأرتمي بظلها ويرحلُ الشراع
تطلُ.. بعلُ، خلفها يجنُ يا له من اشتهاء
رويدها فاضلعي تحنُ
ضحوة اللقاء نشوة تشدني وتعبر القرار
سامتطي حصان شهريار ثمة الطريق.
أتيه حيث تاه «قيسُ» في القفار
ألمُ قهقهات عتمة الدروب
وصوتها يرنُ في دمي
يئزُ مثل شعلة تضجُ في العروق

* * *

سأنسج الظلام هودجاً
سرادقا رواقه يفوح صندلا
أعدها كنوز سندباد
وأرتمي كنملة كسولة بغفوة تهيم
وما لها تقهقه الرياحُ
غرفة ظليلة ونبع اقحوان
وفجأة يفيق شمعدان
أرملة القفار هذه ولفحة الهجير
وطينة تغص في فمي تعب من عفونة الجدار!!

* * *

اليك ها أنا سعيتُ
سأمتطي حصان شهريار ثمة الطريق
سأعجن الرمال مثل رغوةٍ
وأعبر المضيق
أنا الكنوز دربها لموسمي
أنا البحار موطني
سأعبر البحار
وزورقي هناك في انتظار

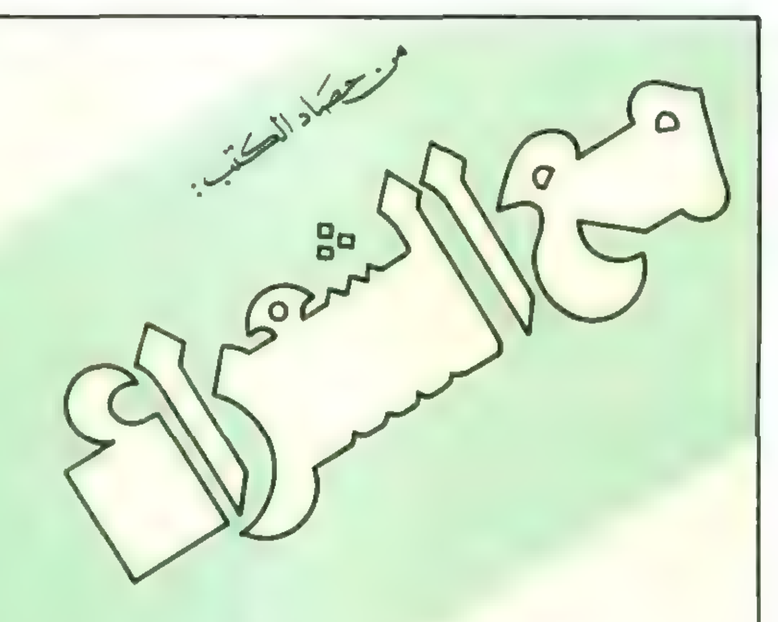

تأليف: الدكتور نجيب محمود
عرض وتعليق: الأستاذ الراحل عزت محمد ابراهيم

قد من بين كتب اليوم ما يظهر متكاملا ذا موضوع واحد ومنهج واحد، له بداية ونهاية يفرغ له مؤلفه ويحشد له مراجعه ومصادره، الا أن يكون ذلك عند أساتذة الجامعات في محاريبهم العلمية، وهي حينذاك اما خاصة بطلبتهم واما محصورة في نطاق التخصص الضيق الذي لا يمتد الى النطاق العام، وما عدا ذلك فهي فصول ومقالات يكتبها الكاتب في صحف ومجلات ثم يجمعها بين دفتي كتاب ويتخذ لها عنوانا يدل عليها أو يجمع بينها.

ولا ضير في ذلك فقد أتيح لنا عن طريقه أن نظفر بكتب قيمة لولا هذا الصنيع لضاعت بين أكداس صحف يفرغ منها القارىء ثم يلقي بها، وحسبنا أن نشير في ذلك الى كتب العقاد والزيات وأحمد أمين وطه حسين والمازني وسواهم كثيرون، ولعل الكتاب ذا الموضوع الواحد قد اقتصر أمره اليوم على القصص المطولة التي تنشر منجمة ثم يجمعها بعد ذلك كتاب، هذا اذا ارتفع شأن الكاتب وبزغ نجمه وذاع صيته، وأصبح له قارىء يقبل عليه ويتابع ما ينشر له ويتجشم في سبيل ذلك عناء الترقب والانتظار.

وفي المكتبة العربية اليوم كتب قد لا يعرف الا القليلون انها نشرت ذات يوم فصولا في مجلات قبل أن يجمعها كتاب، وذلك لوحدة موضوعها واتحاد هدفها واتجاهها نحو غاية واحدة، من ذلك كتاب «حديث عيسى بن هشام» لمحمد المويلحي الذي نشر في مجلة «مصباح الشرق» ومن قبله كتاب «الوسيلة الأدبية» للشيخ حسين المرصفي الذي نشر في مجلة «روضة المدارس» في القرن الماضي، ولعله هو أول كتاب فتح هذا الباب ودل عليه وأتاح لمن جاء بعده النسج على منواله واقتفاء أثره.

ولكن كتب المقالات والفصول يختلف أمرها فمنها ما يكون جمعا كيفما اتفق فصاحبها وحاطب الليل سواء، ومنها ما يكون صاحبها حصيفا بعيد النظر ثاقب الفكر فيجمع ما تشابه موضوعه واتحدت فكرته فكأنه كتاب قائم بذاته واحد في موضوعه، وخاصة اذا تجاهل الكاتب أمر سبق نشرها فلم يشر اليه ولم يدل عليه.

ومن هذه الكتب كتاب الدكتور نجيب محمود، فهو وان كان مقالات وفصولا فهي في الشعر وما يدور حوله وما يتصل به، وهي على كل حال فصول جديرة بالقراءة والتدبر والتمعن، قارئها خليق بأن يفيد وينتفع ويظفر بالمتعة. ويفتتح المؤلف كتابه بفصول عن العقاد الشاعر، والعقاد وما ترجم، والعقاد كما عرفه، وفلسفة العقاد من شعره، ثم تتوالى من بعد ذلك فصوله، ولا سبيل الى الالمام بها جميعا، ولا مناص من الاختيار والوقوف عند بعضها دون الآخر.

ويحلل المؤلف في كتابه شعر العقاد ويشيد بمكانته الشعرية ويتحدث عن صلته به ومعرفته له حين كان طالبا في الجامعة يكتب في صحيفة البلاغ مقالاته الأدبية التي كانت تحدث دويا وتترك أثرا بعيدا يتردد في الحياة الأدبية الى أمد بعيد.

ويصف المؤلف مكانة العقاد عند لقائه به أول مرة قائلا: انه كان عندئذ قد دنا من عامه الأربعين، يملأ دنيا الثقافة بحضوره فلا تغضي عنه عين ولا تستطيع، ولا تصم من دونه أذن وهيهات لها، فسواء أقبل عليه القارئون أم أدبروا، أيده الكاتبون أم عارضوا، فهو هناك يملأ عليهم دنياهم بحضوره ملء العين ملء الأذن.

وعرفه بعد ذلك معرفة أوسع وأشمل حين ربطت بينهما الصداقة، وجمع بينهما العمل، ويصفه في هذه المرحلة من معرفته به بقوله: رأيت العقاد الذي يذهل بحضور بديهته، وبشدة حافظته، فكأنما هو موسوعة منشورة بين يديه.

ومن موضوعات الكتاب «أمين الريحاني وفلسفته الانسانية» ويتحدث المؤلف فيه عن مكانة أمين الريحاني في الأمة العربية ورسالته التي حمل لواءها ويقارنه بغيره من المفكرين الذين لعبوا أدوارا هامة في حياة أممهم ويحدد مكانته بينهم قائلا: اذا كان لا بد من أن نتحيز لهذا الشاعر الوجداني الحساس موضعا بين المفكرين فخير موضع يلائمه هو أن يكون بين جماعة الانسانيين، وأخص ما يميزهم هو أنهم يجعلون الانسان محورا ومدارا، فلا فكر ولا فن ولا علم الا اذا كان خير الانسان وارتقاؤه هدفا ومقصدا.

ويضيف الى ذلك قوله في موضع آخر: فيلسوف انساني هو أديبنا أمين الريحاني، يتخذ من رحمة الانسان بالانسان معيارا للسلوك ووراءه معيار، ويستمد مبادئه من تجارب حياته، لا يقرأ الكتب لينقل عنها بل يعيش ويحيا حياة مليئة خصبة وعيشا غنيا باحساسه غزيرا بمشاعره.

ويختار المؤلف من كتابات «أمين الريحاني» ما يدل على فكرة من ذلك ما جاء في كتابه «الريحانيات» حين يقول «لا المجد ولا الشهرة أمنيتي القصوى ولا الحياة ولا الثروة ولا العظمة، بل أمنيتي الجوهرية الأولى هي بأن أكون بسيطا في أعمالي، صادقا في أقوالي، مستقيما في مبادئي وآرائي، فطريا في تصرفي وسلوكي، حرا فيما أحب وما أكره، أود أن أعيش دون أن أبغض أحدا، وأحب دون أن أغار من أحد، وأرتفع دون أن أترفع على أحد، وأتقدم دون أن أدوس على من هم دوني، أو أحسد من هم فوقي، واذا كان في ما يلهم الناس الى الخير ويرفعهم درجة واحدة في سلم الرقي العقلي والروحي، أحب أن أظهره بالمثل والاشارة والعطف، لا بالانذار والوعيد والتآمر. أحب أن تشع حياتي ولا أحب أن تفرقع، أحب أن تكون كأحد الكواكب السماوية لا كسهم من الأسهم النارية. وفي موضوع «الشعراء الشبان في الجيل الماضي» يختار المؤلف ثلاثة قضوا نحبهم ورحلوا عن دنيانا ودنياهم، وهم في ريعان شبابهم هم: الشابي في تونس، والتيجاني في السودان، والهمشري في مصر، ويجمع بينهم ما كان لهم من احساس حاد ملتهب يتأثر بما حوله فيتألم، ثم يرنو ببصره الى السماء فيرجو الخير مستبشرا متفائلا، وقد جاء ثلاثتهم الى الحياة في أعوام متقاربة، ورحلوا عنها في أعوام متقاربة، ولم يجاوز الهمشري أكبرهم سنا الثلاثين من عمره والقرية هي محور الكثير من قصائد الهمشري، فهذه هي القرية في السماء، وهذه هي القرية في مسارح الشفق ساعة الغروب، وهذه هي القرية في الربيع، ثم القرية في سائر الفصول، ولكل جانب من جوانب الريف عنده نغمة يتغنى بها.

ويقارن المؤلف بين «الهمشري» و «أولفر جولد سميث» قائلا: لم يكن من قبيل المصادفات أن ترجم «الهمشري» قصيدة القرية المهجورة للشاعر الانجليزي «أولفر جولد سميث» لأنه أحس هنا بما أحسه شاعرهم هناك تجاه الحياة الريفية التي أخذ الناس يهجرونها ويهملونها بسبب الحضارة المادية الجديدة.

أما رأي المؤلف في شعر البارودي، فهو يعترض به على رأي الدكتور هيكل في أن شعره كان حياته، فيرى أن شعره لم يكن حياته بقدر ما كان قراءاته وانهما خطان متوازيان لا يلتقيان، وأحسب أن قد أصاب الدكتور هيكل وجانب الصواب الدكتور زكي، وان أشد ما يلفت النظر ويأسر النفس في شعر البارودي هو صوره الشعرية وقصائده المتكاملة التي تحققت فيها وحدة القصيدة قبل أن يجهر بها كأصحاب الديوان بزمان، ومن هذه الصور واحدة يتحدث عنها المؤلف بقوله: «أنظر الى هذه الصورة التي يصور بها ميدان القتال في الحرب بين تركيا وروسيا وقد اشترك فيها البارودي، هي صورة تطالعها فتكاد ترتعد خوفا حين تحس ظلمة الليل وقد أطبقت على تيه من الأرض. وليس في أطباق الجو الا العواصف تزأر والا السحاب يلف السماء، وسيول المطر دافقة على الأرض وقد اعتصمت كواسر الطير بقنن الجبال، وكمنت الذئاب في جوف الوادي» وهل يكون ذلك الا عن تجربة «حياة» اشترك فيها. «وخاصة معامعها؟». والغريب حقا — في أكثر من موضع — أنه يأتي من الأمثلة ما يناقض رأيه. فكأنما يسهل الأمر على ناقده، أو يقدم له السلاح الذي يشهره في وجهه.

أما قراءة البارودي فقد أعانته على تصوير حياته. بما أمدته من ذخيرة لفظية وبما أعانته من تصرف في فنون القول. كما هي لازمة وضرورية لكل متفنن. فهما خطان يكمل بعضهما بعضا ويلتقيان. وما هما بخطين متوازيين لا يلتقيان. أما المثل الذي ضربه ببيت حسان بن ثابت ونقد الخنساء له توضيحا لتغلغل الشاعر في حنايا لفظه. فما أسوأه من مثل. أولم يساوره شك في نحله للخنساء وهي منه براء وهل كان للنقد في صدر الاسلام مثل هذه المطالات والمهاترات والمعنتات التي ما جاءت الا من منازعات النقاد وعبثهم فيما تلا ذلك من زمان. فيكون البيت الواحد هو الديباج الخسرواني، ثم هو في الوقت ذاته فيه أثر الصنعة والتوليد. وما كان للنقد في هذه الفترة كتابة ولا تدوين، وما كان يروي الرواة وتتناقد الشفاه غير الشعر وغير الحديث. وما يتصل بالدين من سبب. الا ما قل وندر.

أما موضوع «شكسبير» فأول ما يخطر على البال عند قراءته: ماذا فيه من جديد يقال بعد كل ما قيل فيه وما ألف عنه وما اجتمع له من دراسات لم تجتمع لسواه ولم يظفر بمثلها عداه. فان كان هناك شاعر قد ملأ الدنيا على رحبها وشغل الناس على اختلاف أجناسهم وتباين نحلهم ومللهم وأوطانهم فهو شكسبير دون سواه.

على كل حال فالمؤلف يتناول من شكسبير ما هو خليق منه بالتناول: تحليله للنفس البشرية وسبره لأغوارها واتخاذه من الانسان محورا ومدارا لمسرحياته وشعره، فجعله صالحا لكل زمان ومكان، لأن النفس البشرية هي هي في كل زمان ومكان، يقول المؤلف في ذلك: «لقد أدى الشاعر العظيم رسالته الانسانية أداء أمينا صادقا، لم يقتصر على نمط من الناس دون سائر الأنماط، بل تناول الانسان حيثما كان وكيفما كان، فما أحسبك واجد حالة انسانية— على تنوع هذه الحالات— الا وجدتها وقد تجسدت أمام عينيك في شخص من أشخاص شكسبير، ثم لا يكتفي بذلك كله فيضيف الى عالم الانسان عالم الأرواح والجن والمردة وسائر ما يبدعه الخيال، حتى استكثر بعض الناقدين أن يصدر كل هذا من قريحة مراعية بما تصنع، فقالوا عنه من قبيل ما يصنع النحل خلاياه، وينسج العنكبوت خيوطه وتبني العصافير أعشاشها لكن هذا لا يغير من الأمر شيئا، فان صدر في ابداعه الفني عن بصيرة واعية، فهي بصيرة فذة فريدة. وان صدر عن فطرة غير واعية فهي كذلك فطرة فذة فريدة.

بقي بعد ذلك أن أقول أن الكتاب كان في حاجة الى مراجعة واعادة نظر، فان صفحات منه قد تشابهت وتطابقت بألفاظها وكلماتها وليس بمعناها فحسب، كما هي الحال في فصوله عن العقاد وفي غيره من الفصول □

حوض البحر المتوسط

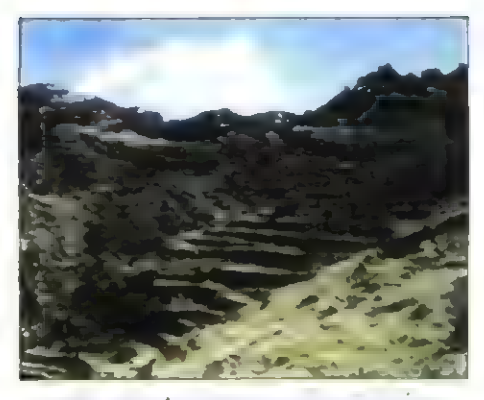

هناك سلسلتان من الجبال المرتفعة المطلة على صحارى وسهوب شبه الجزيرة العربية. احداهما موازية للبحر الأحمر، في غربي الجزيرة، وتمتد من شمالي الحجاز إلى جبال عسير فاليمن - وتسمى سلسلة جبال تهامة، والأخرى تمتد بموازاة خليج عمان من رأس مسندم - في الشمال إلى رأس الحد - في الجنوب الشرقي. وهناك أيضاً سلسلة ثالثة من الجبال تمتد في ظفار وحضرموت بموازاة البحر العربي وخليج عدن، في جنوبي شبه الجزيرة العربية، لكنها دون السابقتين ارتفاعاً.

ابراهيم أحمد الشنطي / هيئة التحرير

يبلغ معدل ارتفاع سلسلة جبال تهامة من مكة المكرمة الى خليج العقبة باتجاه الشمال حوالي ٤٠٠٠ قدم عن سطح البحر. كما يصل ارتفاع بعض القمم الى ٧٠٠٠ قدم. لكنها، في منطقة عسير وجنوبا باتجاه اليمن، ترتفع أكثر من ذلك. ففي الجنوب الشرقي من مكة المكرمة عدة قمم تصل الى ٨٠٠٠ قدم ثم تمتد مرتفعة نحو الجنوب فتصل في بعض الحالات الى نحو ١٢٠٠٠ قدم الى الغرب من صنعاء، عاصمة اليمن الشمالي. ثم تأخذ بالانخفاض قليلا قليلا باتجاه الناحية الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية فتصل الى ارتفاع يتراوح بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠ قدم. بينما تنخفض بنسبة أكبر باتجاه الشرق، فتصل الى حوالي ٣٠٠٠ قدم في ظفار، باستثناء قمة واحدة، تقع الى الشمال من ميناء مرباط، يبلغ ارتفاعها ٤٨٠٠ قدم.

وتتكون معظم الجبال الجنوبية في شبه الجزيرة العربية من صخور رسوبية تنحدر انحدارا خفيفا شمالا في الربع الخالي، بينما تنحدر انحدارا شديدا ومن غير انتظام من الناحية الجنوبية.

ومن تشابه هاتين السلسلتين، الممتدة من مكة والطائف الى اليمن، والممتدة بموازاة خليج عُمان، حيث الانحدار الشديد باتجاه البحر، والانحدار الخفيف الى داخل شبه الجزيرة، استدل العلماء الجيولوجيون على انهما تكونتا منذ نحو ١٠ — ٣٠ مليون عام، نتيجة تحولات وارتطامات بين الكتل الأرضية التي كانت عائمة على حمم البراكين. ويمكن وصف هذه الارتطامات بأنها كانت نهاية سلسلة من التحولات والانجرافات التي بدأت في القارة الكبرى — Panagea قبل حوالي ٢٠٠ مليون عام. وكانت القارة الكبرى في ذلك الوقت تضم جميع الكتل الأرضية التي نسميها اليوم «قارات» وكانت الجزيرة العربية أيامها متصلة بافريقيا.

شبّه أحد كتاب العرب هذه الجبال بجبال الألب في شمالي ايطاليا، لا من حيث الثلج الدائم فوقها، فالثلج يسقط على جبال شبه الجزيرة العربية في بعض الفصول لكنه لا يدوم ويذوب حالا، ولكن من حيث تشابهها في الصخور الوعرة وفي تفرد كل منها بأنواع من النباتات والحيوانات.

فالنباتات والحيوانات في تلك الجبال قد تكيفت مع وعورتها، وتأقلمت مع مناخها المعاكس لطبيعتها، واستطاعت أن تعيش في هذه البيئة المختلفة. فالنباتات والحيوانات، ومعظمها من أصل أفريقي، أصبحت لا تقدر على العيش بعيدا عن هذه البيئة الجبلية الممتدة من الطائف حتى عدن في الجنوب، ومن ثم الى جبال عُمان في الشرق.

تشير التقديرات الى أن هناك حوالي ٣٠٠٠ نوع من النباتات في الجزيرة العربية. ويقدّر أن ربع هذا العدد تقريبا يعيش في مناطق معتدلة المناخ، وأن نصف هذه النباتات من الأعشاب المجهولة الأصل [illegible] من [illegible] هذه الأعشاب على سبيل المثال [illegible] التي لا توجد إلا في مناطق معتدلة المناخ في بعض [illegible].

ترى كيف وجدت نباتات مناطق معتدلة المناخ في قلب الصحراء العربية القاحلة؟

يجيب الخبراء عن ذلك بأن هناك احتمالين رئيسيين: الأول [illegible] هذه المنطقة خلال الفترة الممتدة من العصر [illegible] قبل نحو ٢٥٠٠٠٠ سنة، ثم [illegible] في منطقة [illegible] والثاني [illegible] تكون [illegible] نباتات [illegible] ملايين السنين [illegible] عليه الآن.

في جبال عسير واليمن، على سبيل المثال، تدل ظواهر بعض النباتات على انها هاجرت من زمن بعيد وانه كانت لها اتصالات مع موطنها الأصلي حتى من قريب. ومن النباتات قنّة Ferula communis التي يستخرج منها نوع من الصمغ الطبي، و نباتات

السوسن الأبيض — Iris albicans » التي لا تختلف عن السوسن الموجود في مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط. ولكن الى جانب هذين النوعين يوجد ضرب آخر من النباتات التي لا يوجد دليل على انها هاجرت الى هذه المناطق من عهد قريب، ومنها «الورد الأثيوبي — Rosa abyssinica »، وهي نبتة معروفة في بلاد الحبشة والمناطق الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية. ويحتمل انها تطورت مع الزمن الى نوعها المتميز الحالي،قبل انفصال شبه الجزيرة العربية عن قارة أفريقيا،قبل نحو تسعة ملايين سنة.

وفي جبال عُمان نجد ان بعض النباتات كان لها صلة قوية، في وقت ما، مع تلك الموجودة في جبال ايران المواجهة لها. فالنباتات التي تعيش على ارتفاع الفي متر عن سطح البحر (٦٥٦٠ قدما) هي نباتات مناطق معتدلة المناخ كنباتات «الخرفيش — Centaurea S. P. » الكثيرة الشوك. وهي متشابهة تماما في جبال كل من البلدين. وهناك، في الواقع، شواهد على أن عُمان وايران كانتا مرتبطتين برا عند مضيق هُرمز قبل نحو ٩٠٠٠٠ سنة خلت. وفي ذلك الوقت كان المناخ في تلك المنطقة يسمح بنمو هذه الأنواع من النباتات البرية،وقد تكون هناك علائق ارتباط أقدم من ذلك بكثير. ففي عُمان، مثلا، نوع من نباتات الدِّفلى — Nerium mascatense » من ذات الأرومة الكائنة في حوض البحر الأبيض المتوسط لكنها ليست مطابقة لها.

من ناحية أخرى هناك بعض الغموض في أصل بعض أنواع النباتات كأشجار

Codlins and

الخروب Ceratonia siliqua مثلاً. فهي معروفة لدى العلماء بأنها نباتات تعيش في شرقي البحر الأبيض المتوسط منذ القدم. وقد ورد ذكرها في الإنجيل في عدة مناسبات. والمعروف ان هذه الأشجار تثمر قرنية مبسطة حلوة الطعم يأكلها الناس والدواب. ويصنعون منها شراباً حلواً لذيذاً ومربىً طيباً. وان بذور ثمرة الخروب تستعمل كمثقال متعارف عليه لوزن الذهب والأحجار الكريمة الثمينة. وقد ظهر مؤخراً ان هذه الأشجار تنمو في عُمان. وذلك عندما أجري مسح للحيوانات والنباتات في عُمان عام ١٩٧٥. وربما تعود علاقة هذه الأشجار في عُمان بحوض المتوسط إلى عصور موغلة في القدم. ومن يدري ربما يكون أصل هذه الأشجار من جبال عُمان.

وهناك نوع آخر من الأشجار المثمرة هو «الرمان» Punica granatum وهو نبات معروف في الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية. والمعروف أن للرمان صنفين حلو وحامض. وان موطن أحدهما هو جزيرة سقطرى الواقعة في البحر العربي، إلى الشرق من حضرموت.

ولعل أكبر نسبة من نباتات المناطق المعتدلة موجودة في جبال عسير واليمن وفي قمة جبل النبي شعيب التي ترتفع نحو ٣٦٠٠ متر عن سطح البحر (١١٨٠٠ قدم) وتقع على مقربة من صنعاء وتعتبر أعلى قمة في الجزيرة العربية. يوجد نحو ٣٧ نوعاً من نباتات المناطق المعتدلة منها نوع يسمى «قرة العين» Arabis alpina وهو نبات ورقي شبيه بالجرجير ولكنه حلو المذاق وليس حريفاً كالجرجير. وموطن هذا النبات هو الجزيرة العربية. وان وجدت أصناف منه في سهوب الأخدود [illegible] وجبال أفريقيا [illegible]. ومنها نباتات مستوطنة [illegible] [illegible] الزعتر Thymus laevigatus [illegible] تستعمل أوراقه [illegible] [illegible] مع [illegible] والزيت أو مشوية على الخبز. [illegible] شعبي شائع. ومنها أيضاً نوع من القرنفل الزهري اللون Dianthus uniflorus وهو أقل رائحة من النوع المعروف الذي تكثر زراعته في الحدائق خلال فصل الربيع. ومنها كذلك «الهندباء البرية — Cichoricum bottae».

أما في المنخفضات الجنوبية من اليمن حيث تتوفر الأرض الخصبة والمياه الغزيرة، فإن الوضع مختلف، حيث تصبح نباتات المناطق المعتدلة دون ما هي عليه من الوفرة في المناطق الشمالية. على ان هذا يبدو مغايراً لما هي عليه في قمة جبل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] جبل [illegible]. ومع ذلك فهناك عدة أصناف من نباتات مناطق معتدلة [illegible] ما يسمى بـ «آذان الدب» Mullein [illegible] [illegible] [illegible] أفريقيا.

وثمة شاهد آخر من النباتات في المنطقة الجنوبية العربية من الجزيرة العربية وفي بلاد

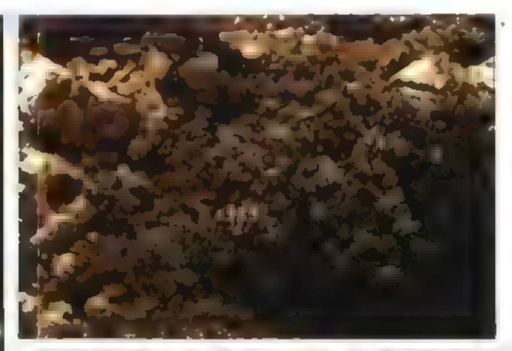

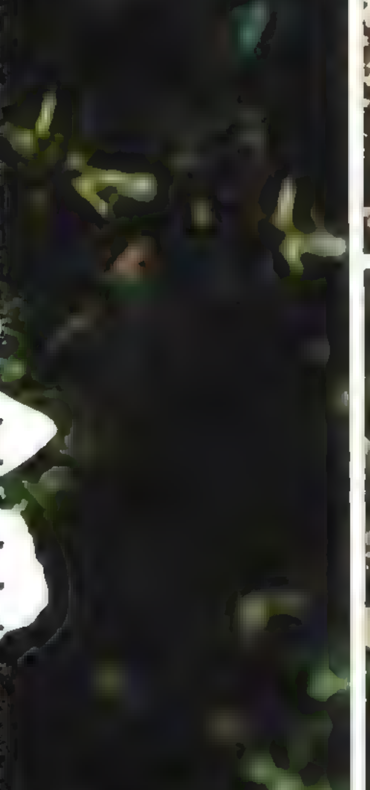

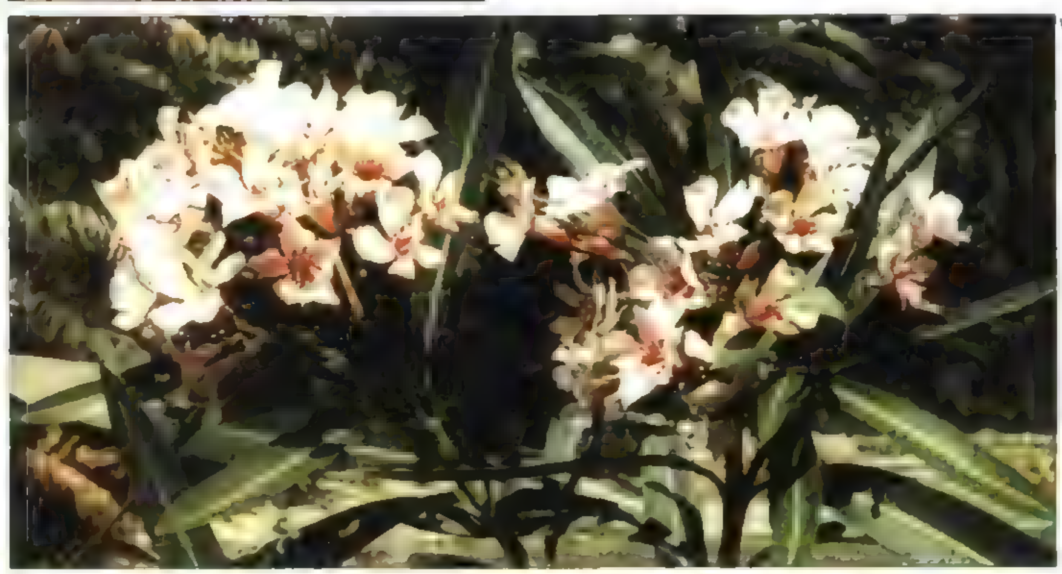

الحبشة شجيرات. زهرة الربيع – Primula vertisolata وهي من النباتات التي تحتاج لرطوبة، ولذلك نجدها معلقة في سفوح التلال وحيث ينز الماء ويرشح. وفي جبال عسير ويمن نشاهد أيضا نباتات البيقة المتسلقة Vicia vilosa التي تزرع بوفرة في بعض بلدان البحر الأبيض المتوسط وتستعمل كعلف للحيوانات. ولذا يمكن القول بأن خصوبة التربة في قمة جبال عسير وتوفر المياه واعتدال الجو تسمح أيضا بزراعة مختلف أنواع المحاصيل والنباتات المتوفرة في كثير من بلدان العالم.

وفي الحقول والمزارع القائمة على سفوح الجبال في الجانب الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية، تتوفر أصناف عديدة من الأعشاب البرية التي تنمو عادة في المناطق المعتدلة المناخ. ولا يعرف ما إذا كانت هذه الأعشاب موجودة من عهد بعيد أم أنها نمت مع البذور التي يزرعها المزارعون في مختلف مواسم. لكن

المعروف أنها موجودة حاليا ولا أحد يحاول تحديد زمن استيطانها لتلك المناطق. ومن هذه الأعشاب على سبيل المثال: نبات الحوذان – Ranunculus rionii وهي ذات زهر جميل منه الأبيض والأصفر. وتتكاثر في الحقول والجداول فتسدها. وكذلك نبات تسمى لسان الحمل – Plantago، وهي عبيطة الورق لها أزهار على شكل الأصابع الصغيرة تحملها ساق عارية. ومنها أصناف تعيش في مختلف مناطق العالم المعتدلة المناخ أو الحارية.

وقد انعكس تطور الحياة النباتية المعتدلة في تلك المناطق على الحياة الحيوانية. حيث تشكل فراشات المناطق المعتدلة المناخ نحو عشرة بالمئة من مختلف أنواع الفراشات الموجودة هناك. ومن الطيور المستقرة في تلك الجبال طير

أبو زريق، الشبيه بالغراب. وقد تطور هذا الطائر بحيث أصبحت له ميزات تختلف عن نوعه المعروف في أوروبا، وعن شبيهه في تركيا الواقعة على مسافة تربو على ١٥٠٠ كيلومتر من جبال عسير.

ومهما كان الأمر فإن النباتات والحيوانات والطيور قد تأثرت تأثرا بالغا بالبيئة من حولها وتأقلمت معها على مر السنين وهذه سنة الحياة.

(بتصرف عن مجلة «إمكو وورلد»)

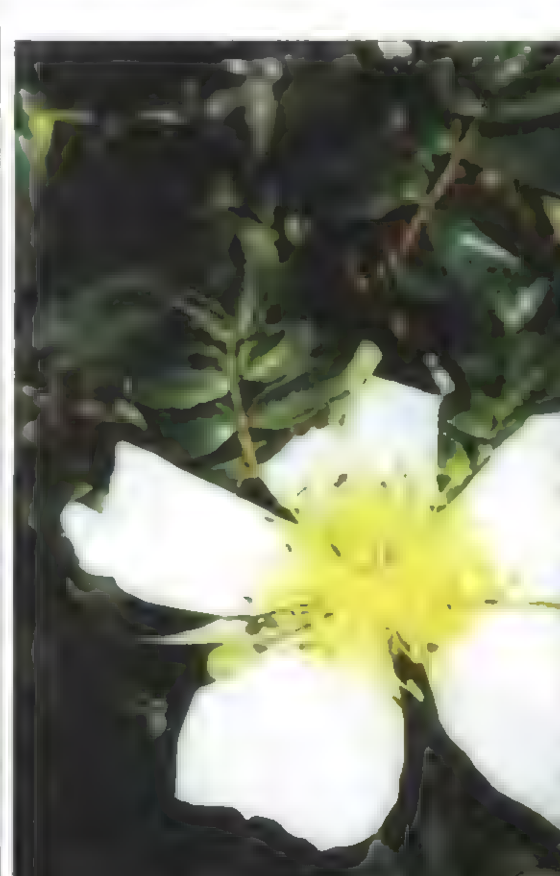

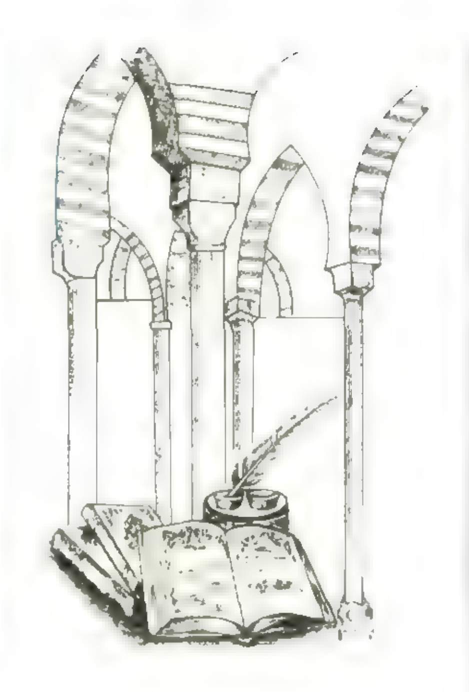

أدباء في قفص الاتهام:

أتوقف طويلا في مطالعاتي الأدبية كلما واجهتني تهمة الالحاد والزندقة.. أو المروق والكفر.. التي اعتاد أصحاب الجاه والسلطان أن يلصقوها بالأدباء اذا ما عزّ عليهم اخضاعهم، أو احتواؤهم ليصبحوا ألسنا يروّجون لسياستهم، ويرددون مآثرهم، ويذيعون أمجادهم.. ويأبى الأديب الحر الا أن يكون مستقل الشخصية. لا يصدر في آرائه وأفكاره الا عن عاطفة صادقة، تأبى التملق، وترفض التبعية، وتكره أن تعيش امعة تصفق في مواكب الضلال والتمويه..

وفي أدبنا العربي بكل أسف أدباء قد وضعوا في قفص الاتهام .. ورموا بالكفر والالحاد وربما دفعوا حياتهم ثمنا لاتهام باطل. وكفر مدّعى !! وليس لهم ذنب في الواقع سوى أنهم لم يحنوا رؤوسهم، ولم يركعوا ... صولة الجبابرة والعتاة .

أقول: اني لأتوقف طويلا أمام هذه التهم التي تختلق لحملة الأقلام النظيفة وأصحاب الآراء الحرة كي تنال من حرياتهم. وتحدّ من حركتهم. وتصل من وجههم. وتصورهم للمجتمع شذاذا مارقين .. أو كفرة ملحدين . أتوقف أمام هذه التهم لأناقشها بالمنطق فأجد الكثير منها صورا شائهة قد أملاها الحقد الضرير .. أو الاستبداد الجموح .. وعلى رأس هؤلاء المظلومين التعساء الأديب الكبير عبد الله بن المقفع .. فكلما قرأت أدب ذلك الرجل وجدت فيه من الصدق والمروءة والقيم الرفيعة ما يأبى عليه أن يخدع المجتمع باسلام ظاهر وكفر باطن .. كما اتهمه بذلك أعداؤه، واذكر أني ما قرأت الطريقة التي قتل بها الا اقشعرّ جسدي، واهتز كياني .. وأحسست بخيبة الرجاء في موقف المجتمع السلبي من رجل عظيم يذهب ضحية للحقد والخيانة والغدر .. وليت هذا المسكين مات ميتة عادية .. ولكن القتلة البشعة التي قتل بها لم يسمع بمثلها في التاريخ .

وعبد الله بن المقفع كاتب فارسي الأصل، عربي النشأة، من أهل غورستان المعروفة بالأهواز .. وقد نشأ بالبصرة على ما ينشأ عليه أهل اليسار .. ووالده (داذويه) المجوسي الذي كان يتولى الخراج للحجاج بن يوسف عن فارس فيقال انه احتجن من هذا الخراج شيئا فضرب حتى تقفعت يده «أي تشنجت» ومن هنا لقب بالمقفع..

تزود ابن المقفع من مناهل العلم، وتتمذ على أجلاّء العلماء والادباء من شيوخ البصرة، وقد روى ابن النديم أنه أخذ اللغة على أبي الجاموس ثور بن يزيد الأعرابي .. وكانت البصرة تموج باللغويين والنحاة والمتكلمين كالأصمعي، وابي عبيدة وسيبويه، وواصل بن عطاء، وابراهيم بن سيار والحسن البصرى، وبشار، وصالح بن عبد القدوس، وسلم الخاسر .. وقد كان لابن المقفع نهم بالمعرفة، وشوق الى التضلع في كل علم فاستفاد من هؤلاء جميعا وقد رباه والده منذ الصغر على النمط الاسلامي .. وكان فارغ

القلب من هموم العيش فصرف جهده الى الدراسة والتحصيل حتى نبغ وهو يافع في الكتابة باللغتين الفارسية والعربية .. وقد قيل انه لم يترك شيئا من ثقافة عصره الا تزود منه.. وقد اجتمع يوما بالخليل بن أحمد ومكثا يتحدثان ثلاثة أيام ثم افترقا فقيل للخليل: كيف رأيت عبد الله؟ فقال ما شئت من علم وأدب الا أن علمه أكبر من عقله. وقيل لعبد الله: كيف رأيت الخليل؟ فقال ماشئت من علم وأدب الا أن عقله أكثر من علمه !! ولقد سئل ابن المقفع يوما من أدبك كل هذا الأدب؟ فقال: نفسي .. قيل له وكيف أدبت نفسك؟ قال: كنت اذا رأيت حسنا أتيته واذا رأيت قبيحا أبيته .. وبذلك أدبت نفسي بنفسي!

أما أخلاقه: فقد اشتهر بالوقار والرزانة والعفة والمروءة.. وله مع عبد الحميد الكاتب قصة يعرفها أهل الأدب ترفعه الى قمة الوفاء للأصدقاء .. ومن ثم فقد تنافس الأمراء والولاة على الاستفادة منه والانتفاع بمواهبه فاستكتبه في عهد بني أمية داوود ابن عمر بن هبيرة، وفي عهد بني العباس عيسى بن علي عم المنصور أيام ولايته على كرمان. ثم أعمام المنصور جميعا، وقد وصلت شهرته الى الخليفة فانتفع به في نقل علوم الفرس الى العربية .. فكان مترجما قديرا لا تلمح في ترجمته أثر العجمة وتكاد لا تفرق بين نقله ووضعه وكتاب كليلة ودمنة اذا صح أنه مترجم لا يزال مثالا للترجمة الصحيحة البليغة.

قال عنه القفطي: «انه أول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور. فترجم كتب أرسطو الثلاثة في المنطق، وكتاب ايساغوجي نقلها عن ترجمة بالفارسية لأنه لم يعرف غيرها، ونقل كتاب التاج في سيرة أنو شروان، وألف كتاب «الأدب الصغير والكبير في الأخلاق» وكتاب «اليتيمة في طاعة السلطان»..

طابع أدبه

تميز أدب ابن المقفع بالروح الاسلامية والمعاني الرفيعة .. والاعتزاز بالقيم، والمثل السامية .. وقد صار بأسلوبه المتميز امام الطبقة الأولى من الكتاب بعد عبد الحميد .. وقد حبّب أدبه الى الناس سهولته ويسره وابتعاده عن الغريب والوحش، وميله الى تنسيق أفكاره وترتيب معانيه .. والاستدلال عليها بالأدلة المنطقية .. لقد كان أدبه مرآة صادقة لنفسه .. يسبغ عليه من جمال روحه، وجلال أخلاقه ما يرفعه الى الذروة العليا من البلاغة .. وكان للاسلام أثر واضح في معانيه..

كيف أسلم

نشأ ابن المقفع كما كان أبوه «زرادشتيا» وهي ديانة تنسب الى نبي الفرس (زرادشت) وقد عامل العرب أهل هذه النحلة معاملة أهل الكتاب .. وكانت هذه الديانة تقول بأصلين هما «أهوار» وهو أصل الخير — و«أهرمن» وهو أصل الشر .. وهذه الديانة هي معتقد أهل الفرس بعامة حتى الفتح الاسلامي وقد حرّفها (ماني) الذى حرم الزواج وأوجب الصوم حتى يسرع الفناء الى الحياة لأن عنصر الشر غالب عليها. وقد تفرع عن ديانة «زرادشت» مذهب آخر وهو «مزدك» وكان يقول بالنور والظلمة «اله الخير واله الشر» ولكنه كان يرى عكس ما يراه (ماني) .. يرى أن تزال الشحناء والبغضاء من الحياة ووسيلة ذلك اباحة الأموال والنساء لأنهما أصل الشر وسبب الشقاق .. وقد حكى الاصطخرى أن بعض قرى كرمان كانت مزدكية طول عهد الأمويين ونحن نعتقد بأن ابن المقفع كان يتبع أصل الديانتين ولم يكن يدين بما حدّ فيها من تطرف وفساد فان حسن سمته ووافر أدبه يحولان بينه وبين ذلك.

اسلام ابن المقفع

رغب ابن المقفع في الاسلام رغبة صادقة قائمة على اقتناع عقلي، ودراسة لآدابه ومثله وعقائده دون أن يدفعه أحد الى ذلك .. ولعله قارن بين ديانات قومه التي تصادم قوانين الاجتماع، وتناقض مبادىء الأخلاق .. فهداه عقله الى جمال الاسلام وروعة مبادئه.

لقد أسلم على يد عيسى بن علي عم المنصور، وكان اسلامه مشهورا بين القواد ورؤس الأشهاد في حفل عام دعي اليه وجهاء الدولة .. وهذا دليل على عظمة الرجل وفرحة المسلمين باسلامه .. وقد سمى نفسه بعد ذلك عبد الله وكني بأبي محمد. ونحن نستدل على صدق اسلام الرجل بما صدر عنه بعد ذلك من كتابات قيمة تفيض بالمثل الاسلامية وتعبّر عن مبادىء الاسلام .. تناول المعاني الحكيمة من كل موعظة حسنة، وكلمة سامية وخلق نبيل وقصة رائعة .. فكان موضوع كتابة لباب العلم، وخلاصة التجربة، وثمرة الحياة، وصفو الايمان .. وكان في كل ذلك جادا وقورا .. مرشدا مؤدبا .. وما يزال أدبه حتى اليوم مثلا رفيعا للأدب السامي، والبلاغة الرفيعة .. لأنه يلتئم مع كل ذوق ويروج في كل حل وتلك هي البلاغة القويمة فهو يجمع في هذا الأدب بين ثقافة فكرية وسلامة لغوية .. فجاء أدبه غاية في الشرف وحسن القبول، حكم بليغة، وآداب نفيسة، يصورهما قلم بليغ .. وطبع سمح ولقد قال عن نفسه:

«ان الكلام يزدحم في نفسي فيقف قلمي لتخيره» وقال أيضا: «البلاغة هي التي اذا سمعها الجاهل ظن أنه يجيد مثلها فاذا رامها تعذرت عليه» وقال: «اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في البلاغة فذلك هو العيّ الأكبر».

محنة ابن المقفع

العجيب أن هذه الملكات الروحية والأدبية والعلمية التي لفتت اليه الأنظار كانت بالذات سبب محنته وسر بلائه .. وذكاء المرء محسوب عليه من غير شك ..

فقد أرجف الوشاة والحاقدون بأن ابن المقفع لم يعلن اسلامه عن صدق واخلاص بل طمعا في الجاه والمنصب .. وابتغاء عرض الدنيا .. ورموه بالالحاد والزندقة .. وهي تهم تروج في جو الحقد والضغينة، وتلتمس لذوي الأقدار الرفيعة حين يعز وجود غيرها من النقائص .. ولقد غالى أعداء ابن المقفع في هذه التهمة فرموه بأنه يحاول معارضة القرآن بأدبه ويترجم كتب الزندقة للصدّ عن الاسلام .. وزادوا فقال: انه عشيّة اسلامه كان يجلس على المائدة أمام قادة الدولة ويزمزم على الطعام كعادة الفرس المجوس .. وحين سئل في ذلك قال: «اني أكره أن أبيت على غير دين . كذلك عدّوا عليه أنه مرّ ببيت نار للمجوس

فتمثل بقول الأحوص:

يا بيتَ عاتكة التي أتغزّل
حذر العدا وبك الفؤاد موكّلُ
اني لأمنحكِ الصدودَ وانني
قسَما اليك مع الصدودِ لأميَلُ

كما قالوا: انه كان يميل الى مذهب الزنادقة في أن الخير مختلط بالشر حينما رثى صديقه يحيى ابن زياد فقال:

لقد جرّ نفعا فقدُنا لك اننا
أمِناّ على كلِ الرزايا من الجزع

فقوله: «لقد جر نفعا فقدنا» فيه ما يوحي باختلاط الخير بالشر وذاك مذهب الزنادقة وهذا أسخف ادعاء وأبعده عن الحق..

تلك مجموعة الأسباب الملفقة التي نسبت الى الرجل فوضعته في قفص الاتهام ثم ساقته الى الموت

تفنيد لأكاذيب

ونحن نؤكد بأن السبب الحقيقي وراء محنة الرجل.. هو مواهبه الفذة وشمائله الرقيقة وما كان يتمتع به من خطوة ومكانة قبل اسلامه وبعده لدى الأمراء والولاة بل عند الخليفة نفسه يضاف الى ذلك قوة شخصيته التي تأبى عليه أن ينافق أو يرائي..

وما يزال تكفير الناس حتى وقتنا هذا أسلوبا سائدا لأخذهم بالنكال والعقوبة. ولا سيما مع أصحاب الآراء الحرة والمواقف الجريئة.. وهي تهمة سهلة عند الفجار وأصحاب الأهواء يشفون بها غل صدورهم من أيسر طريق.. والله عز وجل لم يكشف لنا عن سرائر القلوب حتى نحكم على بواطن الناس.. فهي تهمة أقل ما يقال فيها.. انها افتيات على الدين وجرأة على الله ورسوله وما صدر عن الرجل من تصرفات لا يمكن أن تحمل بحال على اضمار الكفر..

والا فما الذي حمله على الاسلام طائعا مختارا دون اكراه؟ ما الذي دفعه بعد ذلك أن يوقف أدبه على فضائل الاسلام ومثله الرفيعة..؟ ومن كان يشك في ذلك فليأت بنص واحد لهذا الرجل المفترى عليه فيه خلاعة أو مجون أو اسفاف أو الحاد!!

وماقيل من أنه أنشأ كلاما يعارض به القرآن.. نقول.. أين هو ذلك الكلام وبين أيدينا أدب الرجل ينضح بالعقل والنبل والاعزاز لمعاني القرآن؟

وأما ترجمته لكتب المنطق.. والقصص.. فهذه لا تعد حربا على الاسلام بل هي الكسب الأعظم للثقافة الاسلامية.. وما تزال كتب أرسطو.. وكتاب «كليلة ودمنة» مصدر جاذبية لقراء العربية حتى وقتنا هذا.. وما قيل من أنه حنّ الى عبادة النار حين تمثل ببيتي الأحوص.. لا تعطيان هذا المعنى الخطير وانما سيقا مساق الدعابة والفكاهة.. وأنه فارق دينا الى دين كما هجر الشاعر بيت حبيبته. وليس من العدل ولا من الانصاف أن يتهم الرجل بأنه يحن الى عبادة النار والا فما الذي يمنعه من ذلك و[illegible] حريته المستقلة التي اختارت الاسلام دون جبر أو أعنات!!

ولقد بلغ من حقد منافسيه عليه أن ألفوا كتب الالحاد ونسبوها اليه وهو منها براء.

حقيقة الأمر

أما الذي نراه في سبب مقتل الرجل.. فهو الحقد على مكانته التي تبوأها ومنزلته التي وصل اليها. يضاف الى ذلك قوة شخصيته وأنه لم يكن يبالي بعواقب الأمور

فقد تصدى لوالي البصرة سفيان بن معاوية بالسخرية والتهكم.. وكان سفيان كبير الأنف.. فكان يخاطبه بقوله: «السلام عليكما» أي عليه وعلى أنفه.. فأصرها الوالي في نفسه. وذكروا من الأسباب الحقيقية لمقتله أيضا أن سليمان بن علي كان واليا على البصرة من قبل المنصور وقد انشق عبد الله بن علي على الخليفة وأعلن التمرد على طاعته فحماه سليمان من بطش الخليفة ولم يسلمه اليه الا بعد أن أخذ عهدا مكتوبا على الخليفة ألا يبطش به.. وتولى ابن المقفع صياغة ذلك العهد.. لأنه كان صديقا ودودا لسليمان بن علي وقد اشتط في صياغة العهد.. وبالغ في الشروط وقد جاء في العهد: «ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق. ودوابه حبُس. وعبيده أحرار والمسلمون في حل من بيعته» والحق أن هذا افراط من ابن المقفع. ودليل على أنه لم يكن يرهب بطش الخليفة.. أو يتهيب عواقب الأمور.. فاذا قرأ الخليفة هذا العهد الغليظ. فما ظنك به؟ وبخاصة أن ذلك قد التقى مع سخرية ابن المقفع بوالي الخليفة على البصرة وهو سفيان بن معاوية الذي أقامه مقام سليمان ابن علي صديق ابن المقفع.. بعد عزله والقاء القبض على ابن المقفع وسجنه.. ثم وكل الى الوالي الجديد أن يتولى تأديب ابن المقفع. تلك مجموعة الأسباب الحقيقية التي دفع الرجل حياته ثمنا لها.

تنفيذ الحكم على ابن المقفع

لقد ذكرت في هذا الصدد فظائع تتخلع لها القلوب.. ومنها تختلف طريقة مقتل الرجل فكل طريقة منها أفظع من الأخرى.. وهو دليل حقد الوالي على ابن المقفع الذي لم يرتض أن يقتله قتلة عادية وانما أبى الا أن ينكل به ويجعل من قتلته الشنيعة وسيلة لتأديب كل متطاول على الخليفة مستهزىء بواليه.. ولكن التهمة التي تذرع بها هي التهمة التي راجت في ذلك العصر.. وهي المروق والكفر.. وهي تهمة تتناسب مع الأسلوب البشع الذي استخدم في القضاء على الرجل الفاضل الذي عاش حياة نقية من العاب. مترفعة عن الصغائر. مستعبدة عن الولاء الا لله فكيف كانت هذه القتلة؟

ذكروا أن ابن المقفع ألقي في بئر عميقة ثم أهيل عليه التراب فمات مطمورا في البئر!! وقيل: انه استدرج الى حفلة طعام.. فلما فرغ منه خرج الأضياف الا ابن المقفع فانه اقتيد الى حجرة بعيدة فيها تنور مستعر بالنار.. ثم جيء بالجزار فأخذ يقطع أشلاءه شلوا شلوا ويقذف بها في التنور فتشوى أمام عيني صاحبها وهكذا حتى ألقاه كله في النار آخر الأمر

وبذلك انتهت حياة رجل عاش يدعو الى الفضيلة.. ويخدم الاسلام ويبذل جهده في بناء دولته.. ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ.. وكم في الحياة من تعساء!!! □

أصحاب المباضع

بقلم: د. نقولا زيادة / بيروت

كان على الطبيب الذي يريد أن يحذق صناعته أن ينصرف الى أعمال «جالينوس» و«الرازي» و«ابن سينا» ومن كان على شاكلتهم. فيتقنها. وعندئذ يتصدر للتطبيب. وذلك بعد أن يتدرب في بيمارستان. والراغب في تأليف كتب في الطب كان عليه أن يفعل الشيء نفسه. ثم يلخص هذه الكتب. الأمهات ويضيف اليها ما خبره من شؤون الطب. أما الجراحي. ومثله الكحال. أي طبيب العيون. فكان عليه أن يسير بخطى حذرة. واذا قام الجراحي باجراء عملية جراحية قام بتدوين الخطوات واحدة واحدة لمصلحة الذين يسيرون على خطاه. ومن هنا نلاحظ ان الكتب المتعلقة بالجراحة — أو حتى الأجزاء المتعلقة بالجراحة من الكتب الكبيرة — هي أدق تعبيرا وأكثر تنظيما من غيرها.

ومن المتعارف عليه عند الباحثين ان الجراحة لم تتقدم عند العرب بدرجة تقدم الطب في مطلع عهدهم بهذه الصناعة. كما ان ما وضع في أمور الجراحة. في أوائل عهدهم. كان متأثرا بسلطان التقليد المتحدر الى العاملين في المجال من ابقراط وجالينوس والشيوخ والرؤساء. الا أن الأهم من هذا هو ان تشريح الأجسام البشرية لم يكن مسموحا به. ومن ثم فان معرفة أجزاء الجسم. والداخلية خاصة. كانت ضئيلة. ومعنى هذا ان أي محاولة لاجراء عملية جراحية فيما خفي من أعضاء الجسم هي مجازفة مبنية على الحدس والتخمين. ومع ذلك فاننا نجد ان ابن سينا. مثلا. يحدثنا عن العملية الجراحية المتعلقة بالسرطان. والذي عليه الباحثون هو ان تحديد الخطوات التي يجب أن تتبع في اجراء عملية جراحية لخرّاج سرطاني تشبه التحديد الحديث. ومن هنا يقول «الغود — Elgood » ان الذي وصلنا من ابن سينا يبدو كأنه كتبه جراح حديث! كان الشيخ الرئيس يرى أن الأمل الوحيد في نجاح العملية هو اكتشاف المرض مبكرا. فاذا عرف ذلك «كان على الجراحي أن يوسع الجرح ويكون جريئا في ذلك. بحيث تقطع جميع الأوردة المتصلة بالخرّاج. «ويتوجب بعد ذلك أن تكوى المجروحة بكاملها. ويضيف ابن سينا «ومع ذلك فليس ثمة نجاح مضمون» !

ونحن عندما نبحث عن تطور الجراحة عند العرب نجد ان «بولس الأجانيطي»، من أهل القرن السابع، كان له تأثير في غرس صناعة الجراحة بين الأطباء العرب. بل لعله كان الأبعد أثرا بالنسبة للأطباء اليونان،فالرازي له دور الريادة في هذه الصناعة، ويليه علي بن عباس المجوسي، من أهل القرن الرابع

الهجري/العاشر الميلادي، وقد اعتلى عرش مشيخة الأطباء ابن سينا المتوفي سنة ٤٢٨هـ/١٠٣٧م. وعندنا ابن زهر الأندلسي الذي كان معاصرا لابن سينا.

لكن أمير الجراحة عند العرب هو أبو القاسم الزهراوي القرطبي الذي يرجح أنه كان من رجال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي. وقد وضع الزهراوي كتابه «التصريف» في ثلاثين جزءاً، كان الجزء الأخير منها عن الجراحة. وقد قال الزهراوي في ذلك: «لما أكملت لكم يا بني هذا الكتاب الذي هو جزء العلم في الطب بكماله، وبلغت الغاية فيه من وضوحه وبيانه، رأيت أن أكمله لكم بهذه المقالة، التي هي جزء من العمل باليد، لأن العمل باليد مخسة في بلدنا، وفي زماننا معدومة البتة، حتى كاد يندرس علمه وينقطع أثره». وترى فيه صور حديد الكي وسائر آلات العمل باليد مع [illegible].

وهناك كتب في الجراحة من نوع ما نسميه اليوم التخصص. هو كتاب الكافي في الكحل وهو خاص بأمراض العين وجراحتها، من وضع خليفة بن أبي المحاسن الحلبي من أهل القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. وقد صور هذا في كتابه بعض الآلات التي كانت تستعمل في جراحة العين على اختلاف أنواعها. والواقع أن الزهراوي وابن أبي المحاسن وابن النفيس الدمشقي، قد صوروا الآلات على نحو ما صور حنين بن اسحاق «العين» في كتابه «عشر مقالات في العين» قبل ذلك بمدة طويلة.

ونحن نعرف أن كتب الطب العربية نقلت الى اللاتينية، وغيرها من اللغات الأوروبية. وظلت عماد الدراسات الطبية في جامعات أوربة الكبيرة الى القرن السابع عشر أو حتى بعده. وهذا العمل يشمل كتاب الزهراوي «التصريف لمن عجز عن التأليف». وقد نقله جيرارد الكريموني الى اللاتينية. ونشر عدة مرات مخطوطاً ومطبوعاً فيما بعد. وكان أبو القاسم الزهراوي يلح على ضرورة معرفة الطبيب التشريح والفيزيولوجيا. وقد حذر قراءه، أطباء وتلاميذ، من أي عملية جراحية لا يجوز أن تجري دون المعرفة الدقيقة لموقع الجزء المطلوب معالجته.

وقد قبل الكثيرون نصيحة الزهراوي. لكن الجراحين كانوا، مع ذلك، يقومون بعمليات جراحية داخلية. فهذا الجرجاني، من أهل القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، يصف عملية جراحية لاقتلاع خرّاج داخلي. فيقول ان الطريقة المثلى لذلك هو فتح الجزء الأسفل من عضلات البطن وتعميق الجرح، وازالة أكبر جزء ممكن من المنطقة المصابة، وترك أنبوب يسمح للفضلات أن تخرج تدريجيا. وكان الجراحي، من أيام ابن سينا حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، يحاول أن يطهر الجرح بالخل.

وقد كان الجراحون يستعدون للعمليات الجراحية الى درجة تدعو الى الاعجاب. فقد كان من المألوف أن يعد المريض للعملية الجراحية مسبقاً. فيعطى مسهلاً خفيفاً ينظف المعدة والامعاء من بقية الطعام الموجود فيها. وقد يفصد المريض، عند الحاجة، للتخلص من بعض الدم الزائد. ويمنع من الأكل. وعند بدء العملية كانت تربط ساعدا المريض الى ساقيه حتى لا يتحرك. وقد يكون من الضروري أن يعطى مخدرا. ثم يغسل المكان المعد للجرح بالماء ويعقم بالخل او ما يشبهه. وبعد أن يتم الجرح وتتم العملية يغسل الجرح بماء ساخن ويعقم بخل الخمر.

أما عملية قطب الجروح فقد كانت مهمة في نظر الجراحين. والخيوط كانت تصنع من الحرير أو القطن. والابرة كانت تصنع من الفولاذ. وكان صنع الابر يعهد به الى حرفيين من الصناع [illegible]. فلا يخلطون الابر الفولاذية بالابر الحديدية، المصنوعة من الحديد العادي. وهناك من الجراحين من كان يطلب أن يكون شكل الابرة مثلثا لا مستديرا، لأنهم كانوا يعتقدون ان الأولى تحدث ثقبا أسرع الى الشفاء من الثانية. واذا كان الجرح [illegible] عميقا استعملت خيوط من ذهب لقطبه.

[illegible] قطب الجرح [illegible]. [illegible] الجراحين كان يلجأ الى النمل الكبير لقطب الجروح. ذلك أن النملة كانت تمسك بحيث تعض على طرفي الجرح. فاذا تأكد الجراحي من عضها للجرح، قطع جسمها وألقى به بعيداً وظل رأسها على طرفي الجرح. ومع الوقت كان طرفا الجرح يلتئمان. على انه من المؤكد ان مثل هذه الوسيلة، ان صح استعمالها، كان يلجأ اليها في الجروح السطحية نسبيا. أما الجروح العميقة فكانت تخاط. وحري بالذكر ان العمليات الجراحية، وخاصة الكبرى منها، كانت تتم في البيمارستانات «المستشفيات» حيث يمكن العثور على الجراحي الماهر والاعوان والعناية بالمريض الى أن يتم شفاؤه.

[illegible] الزهراوي الأندلسي [illegible] الأولى في هذا الفن الطبي. وهو أول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت الحصاة في

مقص	مقراض	كار بمعنى المقص	فتاحات	قادين	صنانير
وردة	نصف ورده	حربه	آسه	طبر	موسي
مشرط	محرد	مبضع مدور الرأس	منجل	منقاش	ملقط

مكواة الباموخ	مكواة الصدعين	مكواة الغرب	مكواة موضع الشعر	محسف	جفت
ذات الشعيرة	سكين نعرف. بالشوكة	دهق التشمير	مهت مجوف	انوبة النملة	دصاص التثقيل
مهت مدور	جركات وابرة	مسعط وقرن	محسف دقيق	كلبتان نصولية	حلقة

صور آلات الكحالة كما جاءت في كتاب . الكافي في الكحل

المثانة وأول من استخرجها بعملية جراحية. والزهراوي. فيما يرى الدارسون. هو أول من عالج الشلل. وأول من استعمل خيوط الحرير في قطب الجروح. وقد مر بنا أن الزهراوي اهتم بالتشريح. وقد وضع في أول بحثه عن الجراحة علم التشريح كأساس لها.

وقد أورد ابن أبي أصيبعة. في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ان عمه رشيد الدين علي بن خليفة كان يتردد على البيمارستان النوري في دمشق في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. وكان الناس «يقصدونه من كل ناحية لما يجدون في مداواته من سرعة البرء. وان أمراضا كثيرة مما تكون مداواتها بالحديد يبرئها على أجود ما يمكن ومنها ما يعالجها بالأدوية ويبرئها بها ويستغني أصحابها عن الحديد» أي عن العمليات الجراحية.

ويبدو ان كثيرين. حتى من الجراحيين. ما كانوا يلجأون الى الحديد الا في الحالات الضرورية. وقد نقل ابن أبي اصيبعة قولا. معزوا الى جالينوس «وهذا ما نشك فيه ونعتبره قولا لأحد الأطباء العرب عزي الى جالينوس لاكسابه قيمة خاصة» هو: «واحمد أيضا من رأيته يبرىء بالأدوية وحدها من أدواء العين. مثلا. ما يعالجه غيره بالقطع (أي الجراحة) مثل الظفرة «غاشية كالظفر يخيل بياض العين الى سواد أو ما يشبهه» والجرب «وهو شبيه بالصدأ يعلو باطن الجفن» والبرد والماء والغلظ والشعر وزيادة اللحم الذي في المآقي ونقصانه... وغير ذلك مما هو شبيه في علاج العين بغير حديد».

ومع أن الكحالين كانوا فئة خاصة من الأطباء. فان عملهم. في حالات كثيرة. هو أقرب الى عمل الجراحين منه الى عمل الأطباء. ومن هنا فانهم يصنّفون أحيانا مع الجراحين. ولعل أشهر الكحالين العرب هو علي بن عيسى الموصلي من أهل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ومع أنه بدأ حيث بدأ حنين بن اسحاق من الناحية النظرية. فان تجاربه الخاصة والعمليات التي قام بها والتي أودعها كتابه «تذكرة الكحالين» أصبحت نبراسا لمن تبعه. وقد نقل كتابه مرة الى العبرية ومرتين الى اللاتينية وطبع في البندقية. بترجمته اللاتينية. سنة ١٤٩٧ و١٤٩٩ و١٥٠٠. وقد كان له زميل معاصر كحال موصلي أيضا هو عمار الموصلي. وقد ظل عملا علي وعمّار عمدة أمراض العين وجراحتها الى النصف الأول من القرن الثامن عشر. على ما ذهب اليه «ماكس فيزهوف».

وفي تاريخ الطب في مغرب العالم الاسلامي اسرة أنجبت ثلاثة أجيال من الأطباء هي أسرة بني زهر. والجد «أبو مروان... بن زهر» رحل الى مصر وديار المشرق وتطبب هناك. ويبدو أنه تولى رياسة الطب في بغداد وفي مصر وفي القيروان. ثم عاد الى الأندلس واستقر أخيرا في أشبيلية. وخلفه في صناعة الطب الابن أبو العلاء. ثم جاء الحفيد أبو مروان «الثاني».. بن زهر. والأسرة من أهل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وقد توفي الحفيد سنة ٥٨٠هـ في مراكش.

وقد وضع ابن زهر الحفيد كثيرا في الطب. لكن كتاب «التيسير» هو أشهرها. وهذا الطبيب الكبير كان. على ما أخرجه عبد العزيز بن عبدالله. يأنف من اجراء العمليات الجراحية الكبرى بنفسه. لأن رؤية الجروح تثير في نفسه ضعفا يوشك أن يسفر عن اغماء. ولذلك كان يرى أن الأعمال اليدوية في الطب يجب أن توكل لأعوان الطبيب مثل الفصد والكي وفتح الشرايين. ولكن أبا مروان هذا توصل الى الكشف عن أمراض جديدة. فقد كان يعنى بالأمراض الرئوية. وقد أجريت له عملية القصبة المؤدية الى الرئة. وقد تمكن هو من تشريح القصبة. وكان له اهتمام خاص بأمراض الجهاز الهضمي. واستعمل انبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع. واستعمل الحقن المغذية. واكتشف طفيلية الجرب.

ولتذكرّ أن الجراحيين العرب كانوا يقومون فعلا بعمليات داخلية صعبة على ما مر بنا. ومنها شق المثانة. وقد روى ان احدهم شق مثانة وأخرج منها عشرة أحجار! أما عمليات البواصير والكسور العظمية وشبكة العين فقد أصبحت. بالنسبة الى الكثيرين منهم. أمورا مألوفة. وكان الكي يستعمل للعلاج. لكن بعض الجراحيين كانوا يلجأون اليه لتعقيم الجروح ليسرع شفاؤها.

وقد وقع في يدي كراس صغير اسمه «آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب» وضعه المرحوم الدكتور احمد عيسى. وقد اعجبت بهذه الآلات والأدوات التي كانت تستعمل لاجراء عمليات جراحية معقدة. مع انها بسيطة في شكلها. وهذا الكراس. على صغره. من خير ما كتب في الموضوع. وقد اعتمد فيه مؤلفه على مصادر ثلاثة وهي: كتاب «التصريف» لأبي القاسم الزهراوي وكتاب «دعوة الأطباء» لابن بطلان (توفي ٤٤٤هـ/ ١٠٣٢م). وكتاب «الكافي في الكحل». وأضاف المؤلف الى هذا صورا لبعض آلات عثر عليها في خرائب مدينة الفسطاط.

والكتب التي نقل عنها الدكتور عيسى كانت الآلات قد رسمت فيها أصلا. لذلك فقد كان أمامه الوصف والشكل. وفي الكراسة وصف لما يزيد على مئتين من هذه الآلات الجراحية

بقلم: د. كمال بشر / القاهرة

من الطبيعي أن يكون للمناسبات الكريمة والأحداث الكبيرة آثار بعيدة المدى في حياة الناس: آثار تختلف كماً وكيفًا بقدر ما لهذه المناسبات والأحداث من ارتباط بشئون الانسان في دنياه وآخرته. وبقدر ما لها من قوة دافعة توجه أنماط سلوكه أو تعدلها وفقا للظرف المعين.

و «رمضان» مثل فريد بين هذه المناسبات. اذ خصه الله بمجموعة من الفضائل والمكرمات. كما خصه المسلمون بمنزلة فاقت منازل كل وحدات الزمن. طالت أم قصرت.

أما منزلة هذا الشهر العظيم عند الله سبحانه وتعالى فتبدو واضحة في كثير من الخواص التي شعت بجلائها والكشف عن

أسرارها كتب التاريخ وعلوم القرآن. ويكفي أن نشير هنا — في ايجاز موجز — الى ثلاث منها، لأنها — في الحق — جماع هذه الخواص كلها وأساسها الذي ترجع اليه.

• انه ذلك الشهر الكريم الذي بدأ فيه نزول القرآن الكريم: «**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. فمن شهد منكم الشهر فليصمه، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر. يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولتكملوا العدة، ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**». فما أجمل هذا التكريم وما أعظم هذا التمجيد لشهر اختص من بين الشهور والأيام والليالي بهذا الفضل العظيم، فضل تتويجه بنزول القرآن فيه، وفضل فرض الصيام فيه. وهما ميزتان فريدتان في دنيا البشر، وفيهما خير الانسان في حاله وماله. فالقرآن منارة وهداية للانسان، تأخذ بيده نحو الحق والعدل، والصيام ركن من أركان الاسلام، وفيه تهذيب للنفس وضبط للسلوك وصفاء للروح، وهي صفات في درجة عالية ومنزلة رفيعة في دنيا الناس، فناسبت عظمة رمضان وقدره في دنيا الزمن.

* و «رمضان» هو الشهر الذي ينتظم بين أيامه ولياليه ليلة القدر. **انا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر**». وليلة هذه منزلتها ومكانتها عند الله جدير بها أن تجعل من «رمضان» شهرا يتيه على وحدات الزمن، ويقع موقع القمة في الفضل والخير والنعمة في دنيا الأيام.

* و «رمضان» كذلك هو شهر الانتصار: انتصار الحق على الباطل والهداية على الضلال. شهدت أيامه الكريمة «غزوة بدر» التي انتصر فيها المسلمون على المشركين وفيها قتل جمع من عتاة المارقين أعداء الاسلام والانسانية من أمثال أبي جهل وأمية ابن خلف وغيرهم.

ان شهرا اختص بهذه الخواص السامية وغيرها لجدير أن يجذب اليه قلوب الناس وأن يوجه عقولهم الى التفكير فيه وفي أسراره وقيمه وفضائله. فليس من الغريب اذن أن يؤثر في حياتهم وفي عاداتهم وأنماط سلوكهم. وليس يقتصر هذا التأثير على جانب دون آخر، وانما هو تأثير عام في كل مجالات الحياة على اختلاف أنواعها وضروبها.

ونود في هذا الحديث أن نشير الى شيء من هذا التأثير في مجال اللغة والأدب، علنا بذلك نلقي مزيدا من الضوء على مدى الارتباط المنعقد بين رمضان وصائميه وقائميه من المسلمين على وجه الأرض.

لرمضان تأثير واضح ملموس في اللغة والأدب يدركه العارفون بلغتهم وتراثهم المجيد، وهذا التأثير واسع عريض، يمتد من الألفاظ الى صيغها وصور اشتقاقها ومعانيها الى طريق استخدامها في العبارات والتراكيب، ثم — في نهاية المطاف — الى ظهور لون من الأدب — شعرا ونثرا — يستأهل أن يدعى «أدب رمضان». ولسنا بقادرين في هذه الكلمات القصيرات أن نورد كل أو جل هذه الثروة اللغوية الأدبية، ويكفينا أن نأتي بأمثلة منها ليتبين لنا مدى التأثير الذي أحدثه «رمضان» في دنيا التعبير الأدبي ووسائله اللفظية، ويتضح لنا كذلك مدى تجاوب العربية وأهلها مع ما يجري حولهم، وما يمس حياتهم، وهو دليل الحيوية والتفاعل وهما صفتان من صفات التقدم والتحضر.

ففي الجانب اللغوي الصرف نجد ألفاظا معينة قد حظيت بنظر الدارسين ومناقشاتهم في أصولها ومعانيها بصورة جعلت منها «ثروة رمضانية» خالصة. وفي الجانب الأدبي نجد هذه الألفاظ جعلت محاور للتعبير عن الشهر وأيامه الكريمة وفضائله الجمة، وما يجري فيه من عادات وتقاليد تتصل بسلوك الناس وألوان الطعام والشراب وكل ما يقدمون عليه أو يقومون به من عمل أو عبادة.

ونتنوي هنا، بمشيئة الله، أن نأتي بأمثلة محدودة معدودة لهذين الجانبين اللذين لا يمكن الفصل بينهما فصلا تاما، اذ قد تثير اللفظة المعنية (وما ارتبط بها من معنى) شيئا ذا بال في ذهن الأديب فيصوغ لنا قطعة أدبية — والغالب أن تكون شعرا — يكشف فيها عن مكنون وخواطر باله تجاه هذا الشهر وما يجري فيه.

فهذا واحد منهم يستقبل شهر الصيام فيصف حاله ويشير الى موقف الناس منه ومن تقاليده، يقول الشاعر محمد الأسمر:

رعى الله شهر الصوم أما نهاره ... فغاف وأما ليله فهو ساهر
وحيا رجالا حين لاح هلاله ... مشت بينهم مشي النسيم البشائر
بطان اذا ما الشمس أرخت قناعها ... خماص اذا ما أقبلت وهي سافر
خضوعا لمن فوق السماوات عرشه ... ويعلم منهم ما تجن السرائر
هو الله فاعبده العبادة كلها ... اذا راح يلهو بالعبادة فاجر

ورمضان الاسم، شغل اللغويين كثيرا وأتوا في معانيه وتصريفاته الاشتقاقية بآراء كثيرة، نذكر منها ثلاثة، على ضرب من التمثيل:

* قيل انه مأخوذ من «الرمض» — على وزن سبب — بمعنى شدة الحر، ومنه الرمضاء (بنفس المعنى) كما في قول الشاعر:

المستجير بعمرو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار

• وقال آخرون ان «رمضان مأخوذ من «الرميض» بمعنى السحاب والمطر، يقع في آخر الحر وأول الخريف.

• وأشار قوم الى أنه مشتق من «رمض الصائم يرمض» (من باب طرب يطرب) أي حر جوفه من شدة العطش.

تعليلات كثيرة وآراء متضاربة، ما كان لها أن تظهر لولا اهتمامهم بهذا الشهر وتعلقهم به. والمشهور في سبب هذه التسمية «أنهم لما نقلوا أسماء الشهور من اللغة العربية القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمي بذلك».

ولرمضان في الاسلام أسماء أخرى كثيرة، روعيت فيها خواص الشهر وسماته، منها: شهر الآلاء، شهر القرآن، شهر النجاة، شهر الصبر، شهر المواساة الخ..

وهناك في الجانب اللغوي أيضا ألفاظ «رمضانية» أخرى، ملأت أسماع المسلمين وشغلت أذهانهم، بالتفسير والتوضيح أو القول فيها، بمنثور الكلام ومنظومه.

من الألفاظ ذات الصلة اللزومية برمضان، والتي أصبحت ذات معنى اسلامي خاص يثير في النفس أحاسيس معينة:

لفظ «الصوم أو الصيام»

والصوم والصيام في اللغة العامة معناهما مجرد «الامساك» أو الكف عن القيام بأي شيء. وقال ابن دريد : «كل شيء تسكت حركته —أي تتلبث— فقد صام».

ومنه قول النابغة:

خيل صيام وخيل غير صائمة
تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

ويقال: صامت الريح بمعنى ركدت. وقد وردت كلمة «الصوم» في القرآن الكريم بمعنى — الامساك عن الكلام في قوله تعالى على لسان مريم عليها السلام «**اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم أنسيا**»، وذلك بدليل أنها رتبت عدم الكلام على «الصوم» وربطت بينهما بالفاء.

ولكن مع فرضية الصيام (أو الصوم) حدد الاسلام من هذا المعنى العام وحول الكلمة الى مصطلح خاص ذي معنى معين، «هو الامساك عن المفطرات في زمن مخصوص بشروط مخصوصة». وعليه قوله تعالى: «**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات**».

وهكذا أصبح للكلمة أو الكلمتين معنيان احدهما عام وهو الأصل في الاستعمال في اللغة العربية في عمومها ثم أسبغ الاسلام عليها معنى اصطلاحيا خاصا، وهو المعنى المشهور والأكثر استعمالا في أوساط الناس، حتى لا تكاد الكلمة تستعمل في المعنى الأول الا نادرا وفي سياق محدود، وذلك لسيطرة المعنى الاصطلاحي عليه وتعلقه بمناسبة كريمة عزيزة هي صيام رمضان. وفي الحديث الشريف: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وِجاء «أي وقاية». وعن إبي هريرة،رضي الله عنه،أن رسول الله،صلى الله عليه وسلم،قال: «الصيام جنة (أي وقاية)، فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل. وان أمرؤ قاتله أو شاتمه فليقل أني صائم مرتين. والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. يقول الله عز وجل: يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به الحسنة بعشر أمثالها».

الرؤيــة

«الرؤية» بالتاء المربوطة هي في الأصل مصدر الفعل رأى، وقد تكون «الرؤية» بالعين أو بمعنى العلم. وهي في هذا المعنى العام تطلق على أي شيء دون تحديد. ولكن هذه الكلمة في سياق شهر رمضان وأيامه المباركة أصبحت تطلق على معنى خاص، اذ يقصد بها —على ما هو معروف— رصد ظهور الهلال لمعرفة بداية رمضان. ويقال ان أول من خرج من الناس لرصد الهلال من قضاة مصر هو القاضي أبو عبد الرحمن عبدالله ابن لهيعة الذي ولي القضاء عام ١٥٥هـ. وقد كانت «الرؤية» في بعض العهود تسمى «الركبة» (بفتح الراء) اشارة الى ركوب القاضي ومن معه من الفقهاء وخروجهم الى موضع مرتفع خارج المدينة لارتقاب الهلال. والى ذلك يشير ابن بطوطه بقوله «ولقيت بابيار قاضيها عز الدين المليجي الشافعي، وهو كريم الشمائل، كبير القدر، حضرت عنده مرة يوم «الركبة».

ويقال ان الفاطميين ألغوا «الرؤية» وكانوا يحتفلون بأول رمضان بدلا من الاحتفال برؤية الهلال احتفالا عظيما، يخرج فيه الخليفة بملابسه الفخمة وحوله الوزراء والأعيان بخيولهم وسروجهم الذهبية وسيوفهم وأعلامهم، ويتبعهم طوائف من التجار والحرفيين، وتزيّن الحوانيت زينة عظيمة. ثم ألغي ذلك بعد سقوط الدولة الفاطمية وعادت «الرؤية» الى ما كانت عليه قبلها ، وعلى هذا النظام تسير البلاد الاسلامية حتى اليوم. وفي الحديث الشريف «**صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته**» □

نوع من النبات اسمه العلمي «Verbascum Bottae»،
وهو ذو زهر أصفر وينمو في جبل صَبِر.
تصوير: ثوربن لارسن